الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس– مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص" أدب مقارن و عالمي"

الموسومة:

أثر المقامات العربية في الآداب العالمية

الأدب الإسباني أنموذجا

إعداد الطالبة: تحت إشراف:

✓ لكحل أمينة – د. بلعبـدي أسماء

أعضاء لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الصفة
د. خضار سماحية	رئيسا
د. بلعبدي أسماء	مشرفا و مقررا
د. بوكربعة تواتية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023 / 2024

الأستاذة: بلعبدي أسماء
جامعة مستغانم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس– مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص" أدب مقارن و عالمي"

الموسومة بعنوان:

أثر المقامات العربية في الآداب العالمية

الأدب الاسباني أنموذجا

إعداد الطالبة: تحت إشراف:

✓ لكحل أمينة – د. بلعبـدي أسماء

أعضاء لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الصفة
د. خضار سماحية	رئيسا
د. بلعبدي أسماء	مشرفا و مقررا
د. بوكربعة تواتية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023 / 2024

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى:

{وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}

صدق الله العظيم – الآية 19 من سورة النمل

أشكر الله العليّ العظيم شكر الشاكرين، وأحمده حمد الحامدين على نعمه وفضله وتوفيقه على إتمام هذا العمل وما توفيقنا إلا به، والصلاة والسلام على رسولنا محمد صلّى الله عليه وسلّم معلم الإنسانية كلها أجمعين إلى يوم الدّين، لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقدم الشكر لمن أجرى الله النعمة على أيديهم لخدمة الإسلام والمسلمين، وأولي الناس بالشكر في هذا المقام أستاذتنا الفاضلة "د.بلعبدي أسماء"، المشرفة على هذا البحث منذ أن كان فكرة حتى صار في هذه الحلة، موجهة ومرشدة بلين إلى ما رأته صوابا، أسأل الله عزّ وجلّ – وهو خير مسؤول – أن يزيدها علما ويحفظها وينعمها بموفور الصحة وجزاها الله خيرا

وأتقدم بالشكر الجزيل للدكتور "محمد عباسة"، وزميلتي "سميرة" جزاها الله خيرا، وصديقتي "سلمى"

ولا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري إلى لجنة المناقشة وكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم:

{ يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوُتُوْا العِلْمَ دَرَجَاتٍ... }

صدق الله العظيم الآية (11) من سورة المجادلة

إلى من سهرت ليال طوال من أجل راحتي، ومن استيقظت فجرا من أجل الدعاء لي وإلى من ينبض القلب مع أنفاسها، من يجعل لحياتي معنى أسمى وأعمق وأجمل...والدتي الحبيبة والغالية أطال الله في عمرها وحفظها ورعاها

إلى من كان قوتي عندما تسلل الضعف في لحظات التعب، إلى قلبي، الداعم الأول لي، وإلى الجبل الذي يحميني من كل عواصف الحياة...السند الذي لا ينكسر، والقلب الذي لا يتهاون مع أحزاني...أبي العزيز الغالي حفظه الله وأطال في عمره وأدامه سندا لا يملّ ولا يميل

إلى بهجة العائلة وسكر البيت إسلام وعبد الهادي وإخوتي وأخواتي أدامهم الله

إلى كل صديقاتي اللّواتي رافقنني طيلة هاته السنوات..."حسناء"، "سعدية"، "فتيحة"، متمنية لهن النجاح في حياتهم

إلى الأستاذة الفاضلة المشكورة على تحفيزها لي...وعلى القريبين من القلب والداعمين والمساندين

أهدي ثمرة هذا العمل إلى هؤلاء جميعا.....

أمينة

مقدمـــــة

يتسم الأدب العربي بعمق تاريخه وتنوعه، فقد ترك بصمة دائمة على الثقافة العالمية من خلال أعماله ومفاهيمه وتأثيره على الأدباء والمثقفين في مختلف أنحاء العالم، حيث يتيح لنا الأدب معرفة الأنا بالآخر، ومن خلال هذه المعرفة يبرز لنا الجوهر المشترك بينهما ومواطن التأثير والتأثر.

تشكل الدراسات الأدبية المقارنة جانبًا مهمًا في الأدب العربي الإسلامي وأثره في الآداب العالمية، وكان للأعمال العربية تأثيرا عظيماً في الآداب الأوروبية كـ "ألف ليلة وليلة"، "كليلة ودمنة"، و"حي بن يقظان" وغيرها.

ومن بين الأجناس الأدبية التي برزت في ميدان التأثير العربي على الأدب الغربي نجد "المقامة"، التي تعتبر فنًا من الفنون اللغوية في الأدب العربي، وتعرف بأنها نص نثري يجمع بين فن الكتابة والشعر، وهي تشبه القصة القصيرة في أسلوب صياغتها، لكنها تتميز ببلاغة لغوية في المفردات والجمل المستخدمة، وتعبّر عن قضايا الشعب مثل العادات القبيحة والصفات السيئة كالبخل والاحتيال والمكر، وغالبًا ما تكون قصصًا خيالية ينسجها الكاتب أو الأديب.

من أسباب اختيارنا لدراسة هذا الموضوع، حبنا للمطالعة وقراءة الروايات الكلاسيكية لما تحمله من خصائص فنية ومتعة أدبية، ولما تحتويه من نصائح إرشادية وتعليمية، بالإضافة إلى رغبتنا في التعريف بالمقامة وتبيان كيفية نشأتها وتطورها على مرّ العصور وإعادة إحيائها في الميدان الأدبي، وكيف أثرت في الآداب العالمية، لاسيما الأدب الإسباني.

ونظرا للأهميّة التي يحظى بها موضوعنا هذا باعتباره مؤثّرا ومتأثّرا بالآداب الأخرى ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا موسوما بـــ: أثر المقامات العربية في الآداب العالمية - الأدب الاسباني أنموذجا -.

وعليه طرحنا الإشكالية التّالية: ما تجليّات تأثّر الأدب الاسباني بفن المقامة؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة تمثلت في:

ما المقصود بفن المقامة؟

فيما يتجلى تأثيرها في الآداب العالمية؟

وأين يكمن تأثيرها في الأدب الإسباني؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، وضعنا خطة بحث جاءت في ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة.

تناول الفصل الأول مفهوم المقامة، نشأتها، أهم خصائصها، العناصر التي تقوم عليها وكيفية تطورها.

أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى المقامة وتأثيرها في الآداب العالمية، مثل الأدب الفارسي، الأدب الفرنسي، والأدب الإسباني.

وفي الفصل الثالث، قمنا بدراسة مفهوم الرواية البيكاريسكية ومميزاتها، إضافة إلى أثر الأدب العربي القديم على الرواية البيكاريسكية، وأخيرًا قمنا بمقارنة بين مقاماتي الحريري والهمذاني ورواية "حياة لاثريو دي تورميس " (La vida de Lazarillo de Tormes) بتبيان أوجه الاختلاف والتشابه.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل المقامة والرواية الإسبانية ولجأنا إلى جملة من المصادر والمراجع، نذكر منها: "المقامة" لشوقي ضيف، "مقامات الحريري" للقاسم بن علي الحريري، و"مقامات بديع الزمان الهمذاني" "لأبي الفضل أحمد بن الحسن بن يحيى".

وكأي بحث علمي، فقد واجهتنا بعض الصعوبات والمشاكل أهمها: نقص المراجع المتخصصة بالمكتبات مّما دفعنا إلى البحث عن الكتب الالكترونية والعثور عليها لم يكن بالأمر الهين، إضافة إلى ظروف أخرى خاصّة لا حاجة لنا لذكرها، وقد تطلبت منا هذه العقبات جهدا مضاعفا ووقتا أطول.

.

وفي الختام، لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر لأستاذتنا الكريمة "الدكتورة أسماء بلعبدي" على إشرافها وتوجيهاتها لنا في هذا العمل، فكانت نعم المشرفة.

أسأل الله أن يسدد خطانا.

الفصل الأول

المقامات في الأدب العربي، المفهوم والنشأة

-تمهيد

1- مفهوم المقامة

1-1-المعنى اللغوي

1-2-المعنى الاصطلاحي

2- نشأة فن المقامة

3- خصائص فن المقامة وعناصرها

4- تطور فن المقامة

خلاصة.

تمهيد:

تعد المقامة من أهم الفنون الأدبية التي ظهرت في الأدب العربي، لكونها فنا معبّرا حوى في طياته أشكال إبداعيّة متنوعة، كما لو كانت خطابا جامعا في الأدب العربي، ظهرت في القرن الرابع الهجري على يد بديع الزمان "الهمذاني"، ثم توالت عند غيره من الأدباء مثل الحريري والسيوطي وآخرين من الذين رأوا في المقامة فنا بلاغيا محكم الصنع ونصا لغويا بديع الأثر وموضوعا إبداعيّا يتقوى بالشعر والحكم والأمثال، فما مفهوم المقامة؟ وكيف نشأت وتطورت؟ وما هي أهم خصائصها وعناصرها؟

1/- مفهوم المقامة:

1-1- المعنى اللغوي:

« كلمة (مقامة) بفتح الميم هي في الاستعمال العربي القديم على موضع القيام، فهي مفعلة من القيام، يقال مقام ومقامة كمكان ومكانة، وهما في الأصل اسمان لموضع القيام».[1]

ووردت في القرآن الكريم لقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} (سورة البقرة الجزء الأول الآية 125).[2]

وأما في الشعر الجاهلي تستعمل بمعنيين، فتارة تستعمل بمعنى مجلس القبيلة أو ناديها، على نحو ما نرى عند زهير، إذ يقول:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حِسَانُ وُجُوهُهَا وَأَنْدِية يَنْتَابُهَا القَوْلُ والفِعْلُ

[1] حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف، [د.ط]، ص 09.

[2] سورة البقرة الآية 125.

وتارة تستعمل بمعنى الجماعة التي يضمها هذا المجلس أو النادي على نحو ما نرى عند لُبيد، إذ يقول:

وَمَقَامَةٍ غُلِبَ الرِّقَابُ كَأَنَّهُمْ جِنٌّ لَدَى بَابِ الحَصِيرِ قِيَامُ[1]

وورد مصطلح المقامة في معجم الوسيط أن « المقامة هي: الجماعة من الناس والمجلس والخطبة أو العظة أو نحوهما وقصة قصيرة مسجوعة تشتمل على عظة أو ملحة، كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم».[2]

إضافة إلى ذلك نجد أن "عبد الملك مرتاض" بحث في مدلول المقامة لدى الأدباء قبل ظهور فن المقامات عند نهاية القرن الرابع للهجرة، فمن الناحية الشعرية نجد:

- "مالك بن حريم الهمذاني" في قوله:

وَأَقْبَلَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ فَأَوْضَعُوا إِلَىَ كُلِّ أَحوِى فِي المَقَامَةِ أَفْرَعَا

فالمقامة في بيت مالك بن حريم يجب أن تعني المجلس أو النادي، لأن سياق الكلام في البيت يدل على ذلك، فإخوان الصفا يسارعون في المجلس وعند "سلامة بن جندل السعدي" تعني عنده المجالس وقد تعني شيئا آخر كالخطب والفصل والخصومات، و"زهير بن أبي سلمى" كذلك تعني عنده المجالس أيضا وغيرهم من الشعراء، إذن المقامة في معظمها لم تكد تخرج عن دائرة هذه المدلولات:

1- مجلس أو موضع يقام فيه.

[1] شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1954م، ص 07.

[2] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، القاهرة، ط4، 2004م، ص 768.

2- جماعة من الناس يجتمعون في مجلس.[1]

3- موقف للفصل في خصومة.

يقول عباس هاني الجراح «يبقى المجلس هو العامل المشترك في هذه الكلمة مهما تطور مفهومها».[2]

- وأما من الناحية الأدبية (النثر) فقد استعمل كبار كتاب العربية الذين سبقوا "الهمذاني" لفظ «المقامة»، ومن أهمهم نجد: الجاحظ وابن قتيبة، وابن ربه الأندلسي.

1- **عند الجاحظ**: ورد ذكر لفظة المقامة في كتابه «البيان والتبيين» في قوله: «مقامات الشعراء في الجاهلية والإسلام»، أراد الجاحظ بلفظة المقامات مكانة الشعراء، أي جاءت بمعنى المكانة، أما في كتابه «العثمانية» فجاءت بمعنى المجالس أو الخطب.[3]

2- عند ابن قتيبة:

لفظة المقامة عنده استعملت بمعنيين، ففي كتابه «عيون الأخبار» تعني الكلام الذي يقال في المواعظ والتزهيد في الدنيا وفي كتابه «الشعر والشعراء» فهي تعني مواقف المنافرة، ومواطن المجادلة بين الناس في الظروف المدلهمة.

---

[1] عبد الملك مرتاض، المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1980م، ص 13، 14، 17.

[2] عباس هاني الجراح، المقامات العربية واثارها في الآداب العالمية، دار الصادق الثقافية، ط1، 2014م، ص 11

[3] المرجع نفسه، ص 18.

3- عند ابن ربه الأندلسي:

كان يفهم مدلول المقامة على أنه عظة مؤثرة يُلقيها زاهد من الزهاد، أو عابد من العباد أمام خليفة أو أمير.[1]

وجاء في لسان العرب (قوم) في قوله: «المقامة، بالفتح: المجلس والجماعة من الناس».

والمقام: هو موضع القدمين: قال:

هَذَا مَقَامُ قَدَمِي رَبَاحُ غُدْوَةَ حَتَى دَلَكَتْ برَاُح

والمقام والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه.[2]

وورد في القرآن الكريم أيضا قوله تعالى: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}.[3]

1-2- المعنى الاصطلاحي:

«اكتسب لفظ مقامة دلالته الاصطلاحية مع «بديع الزمان الهمذاني» حيث يُعد أول من أعطاها معناها الاصطلاحي بين الأدباء، إذ عبّر بها عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصور أحاديث تلقى في جماعات، فكلمة مقامة عنده قريبة المعنى من كلمة حديث، وهو عادة يصوغ هذا الحديث في شكل قصص قصيرة

[1] عبد الملك مرتاض، المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1980م، ص 19-20.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد 12، ط1، 2003م، ص 498.

[3] سورة الإسراء الآية -79-

يتأنق في ألفاظها وأساليبها، ويتخذ لقصصه جميعا راويا واحدا ألا وهو "عيسى بن هشام"، كما يتخذ لها بطلا واحدا هو "أبو الفتح الإسكندري".[1]

وعُرِّفت أيضا «أنها حديث يُلقى على جماعة من الناس إما بغرض النصح والإرشاد وإما بغرض الثقافة العامة أو التسول».[2]

ويُعرِّف "زكي مبارك" المقامة بأنها: « القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية أو خطرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون».[3]

« والمقامة في الاصطلاح الأدبي قطعة من النثر يضاف إليه نظم في كثير من الأحيان مبنية على قصة قصيرة خيالية في معناها أو حوادثها ترمى إلى مغزى معين ولها على الغالب وفي الأكثر بطل تدور عليه القصة من كياسة وبراعة وغرائب ومفاجئات مثل "أبي زيد السروجي" في مقامات الحريري كما أن لها راويا يروي تلك القصة وما فيها من أقوال البطل وأفعاله مثل "الحارث بن همام" في مقامات الحريري أيضا، كل ذلك بأسلوب مصنوع مسجع غاية في التألق والتزويق يجمع من شوارد اللغة وفصحها وعيون مفرداتها وتراكيبها وأمثالها ونوادرها مقدارا وافرا».[4]

وفي رأي "محمد غنيمي هلال": « المقامة في الأصل معناها المجلس، ثم أطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات على شكل حكاية ذات أصول فنية،

[1] شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1954م، ص 8.
[2] يوسف نورعوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979م، ص 08.
[3] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة الهنداوي للنشر، 2013، ص 199.
[4] خليل مردم بك، مجلة الثقافة السورية، مجلد 1، العدد 10، 1933م، ص 23.

وموجز هذه الأصول أنها حكاية قصيرة يسودها شبه حوار درامي، وتحتوي على مغامرات يرويها راو وبطل واحد».[1]

ويعرفها "يوسف نور عوض" في قوله: «المقامة قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني مكد ومتسول لها راو وبطل، وتقوم على حدث طريف مغزاه مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو مغامرة مضحكة تجمل في داخلها لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية وضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية».

ويعرف "الدكتور حجاب" هذا اللون من المقامات بقوله: «أنها حكاية أدبية قصيرة يدور أغلبها حول الكدية والاحتيال لجلب الرزق وتشتمل على نكتة أدبية تستهوي الحاضرين».[2]

2/ نشأة فن المقامة:

أثارت قضية نشأة المقامات جدلا كبيراً لدى الباحثين ومؤرخي الأدب العربي وكشفت عن حال من التضارب وعدم الاتفاق حول مسألة الأصول والريادة في هذا الفن، ففي رأي حسن عباس أنّه: «لا اختلاف على أن نشأة المقامات الأدبية كانت مشرقية، وأما الذي لا اتفاق عليه فهو زمن هذه النشأة، وصاحب الفضل فيها، ومهما يكن من شأن الاختلاف حول منشئ المقامات فإنه يدور حول ثلاثة أسماء كبيرة في تاريخ تراثنا الأدبي والفكري، عاش أصحابها بين القرنيين الثالث والرابع وهم : بديع الزمان، وابن دريد، وابن فارس».

لقد كان "بديع الزمان" أول من أطلق اسم المقامات على عمل أدبي من إنشائه... ويبدو أن "الحريري" هو أول من ادعى له ذلك كما يظهر من قوله في

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط9، أكتوبر 2008م، ص 180.
[2] يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979م، ص 08.

مقدمة مقاماته: «فإنه قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان، رحمه الله تعالى، وعزا إلى "أبي الفتح الإسكندري" نشأتها، وإلى عيسى بن هشام روايتها...».

وقوله أيضا: «هذا مع اعترافي بأن "البديع" -رحمه الله- سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يعترف إلا من فضالته، ولا يرى ذلك المسرى إلا بدلالته».

إضافة إلى قول "القلقشندي": « وأعلم أن أول من فتح باب عمل المقامات علامة الدهر، وإمام الأدب البديع الهمذاني».

وقول الخفاجي: « وأول من اخترع هذا "البديع الهمذاني" وتابعه "الحريري" و"الزمخشري" والفضل للمتقدم».[1]

وممّا أكد القول بأن "بديع الزمان" هو أول من نشأ المقامة ما ذكره "بروكلمان" (Brockelmann) الأديب المستشرق الألماني، في قوله: «إن هذا الفن انتقل بفضل بديع الزمان إلى اللغة الفارسية، وأن أول من عرف من مقامي الفارس هو "القاضي حميد الدين" وقد دخلت المقامات إلى العبرية عن طريق الترجمة ...».[2]

وفي رأي آخر أن "بديع الزمان الهمذاني" أنشأ مقامات متأثرا بمن سبقه، وأنه استنبط فكرة المقامات من أحاديث "ابن دريد"، فيقول "الحصيري القيرواني": «لما رأى "أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي" أغرب بأربعين

[1] حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف، دط، ص 25-26.

[2] يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979م، ص 09.

حديثا، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، وانتخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض حوشية وألفاظ عجمية».[1]

ويرى "الدكتور زكي مبارك" أن مقامات بديع الزمان مشتقة من أحاديث "ابن دريد" في قوله : «لقد وصلت إلى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفى سنة 321هـ».[2]

وأخيرا نجد من الباحثين المحدثين من يشير إلى "ابن فارس" على أنه مبدع فن المقامات، و"ابن فارس" هو أستاذ "الهمذاني"، ومن هنا رأينا "جرجي زيدان" يقول في ترجمته ابن فارس: «وله فضل التقدم في وضع المقامات...»، بل نجد الدكتور "جميل سلطان" يعلق على كلام "ابن خلكان" بقوله: «وفي هذا بيان لتأثير "ابن فارس" في نشأة المقامات، إذ اقتبس "الحريري" منه.... وكان "بديع الزمان" الذي سبق "الحريري" بنحو قرن، تلميذ "ابن فارس" الخاص».[3]

ولا شك أن "ابن دريد" كان له دور في نشأة المقامة مع "ابن فارس"، لكن نجد أن مجمل النقاد قد أجمعوا على أن "بديع الزمان الهمذاني" هو المبتدع الأول لفن المقامة، وأنه من أرسى قواعدها وأطلق عليها تسمية المقامة.

[1] حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف، دط، ص 29.
[2] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة الهنداوي للنشر، 2013، ص 200.
[3] المرجع نفسه، ص 37-38-39.

3/ خصائص فن المقامة وعناصرها:

3-1- خصائص المقامة:

للمقامة خصائص تميزها عن باقي الأجناس النثرية الأخرى، وهي كالآتي:

- تمتاز أسلوب سردي حكائي خاص في بيان غرضها، وخطابها وهدفها.

- الاعتماد على راوٍ، و بطل محوري وشخصيات هامشية، وأغلبها شخصيات خيالية وهمية غير حقيقية.

- اختلافها من حيث الموضوع، فنرى البعض منها يتناول قضايا الفساد، كفساد الحكام أو القضاة أو رجال الدولة، إضافة إلى أنها تتسم بطابع أدبي ساخر، وتارة بسمة فكاهية.

- تنطوي على آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، وأمثال وحكم، ومواعظ التي يكون هدفها الأساسي هو المساهمة في تسليط الضوء على قضية معينة.

- تعمل على إثراء المعرفة الأدبية واللغوية.

- تمتاز بالوصف كوصف المكان والزمان والأشخاص التي يتم وصفها تارة من الخارج وتارة من الداخل.[1]

- كثرة المحسنات البديعية والالتزام بالسجع، حيث يحتوي نص المقامة على الأسلوب البلاغي والأدبي الواضح إذ يكون ذلك من خلال اعتماده على استعمال الأساليب اللغوية المميزة كالجناس والطباق وغيرها مما زاد جماله الأدبي.

[1]محمد الهادي مرادي، (فن المقامات النشأة والتطور دراسة وتحليل)، مجلة التراث الأدبي، السنة الأولى، ع4، ص 133.

- الألفاظ العربية الصعبة، فمعظم أفكار المقامة التي تبنى عليها تكون مرتبطة بألفاظ غريبة بل غير مألوفة عند كثير من الأشخاص الذين يسمعونها أو يقرؤونها.[1]

- المقامة في حقيقتها حيلة يطرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطلع من جهة على حادثة معينة، ومن جهة على أساليب أنيقة ممتازة، بل إن الحادثة التي تحدث للبطل لا أهمية لها، إذ ليست هي الغاية إنما الغاية التعليم والأسلوب الذي تُعرض به الحادثة.[2]

3-2- عناصر المقامة:

تحتوي المقامة على عدد من العناصر كغيرها من الفنون الأدبية، وفيما يأتي عرض لهذه العناصر:

1- **المجلس**: يجب أن تدور حوادث المقامة في مجلس واحد لا تنتقل منه إلا في ما شذّ و ندر (وحدة مكان ضيقة).

2- **الراوي**: ولكل مجموعة من المقامات راوي واحد ينقلها عن المجلس الذي تحدث فيه.

3-**المكدي**: ولكل مجموعة من المقامات مكد واحد أيضا، أو بطل وهو شخص خيالي في الأغلب.

[1] يسرى عبد الغني عبد الله، ديوان بديع الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ، ط3، ص 15.

[2] شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1954م، ص 09.

4- **الملحة (النكتة أو العقدة):** وهي الفكرة التي تدور حولها القصة المتضمنة في المقامة، وتكون عادة فكرة طريفة أو جريئة، ولكنها لا تحث دائما على الأخلاق الحميدة، وقد لا تكون دائما موفقة.

5- **القصة نفسها**: لكل مقامة وحدة قصصية قائمة بنفسها، ولا يوجد صلة بين المقامة والمقامة إلا أن المؤلف واحد والراوي واحد والمكدي واحد، وقد تكون القصص من أزمنة مختلفة متباعدة وإن كان الراوي واحدا.

6- **موضوع المقامة**: موضوعات المقامة مختلفة منها ما يكون أدبي، أو فقهي ومنها الفكاهي والحماسي، أو الخمري أو المجوني.

7- **اسم المقامة**: اسم المقامة مأخوذ عادة من اسم البلد الذي انعقد فيه مجلس المقامة نحو: المقامة الدمشقية، الكوفية، البغدادية وغيرها.

8- **شخصية المقامة**: إن الشخصية التي تبدو في المقامة ليست شخصية المكدي (بطل متسول) ولكنها شخصية المؤلف، وتبنى هذه الشخصية على الدراية الواسعة بكل شيء يطرقه المكدي، أو المؤلف على الأصح، فهو واسع الإطلاع على العلوم العربية خاصة، بصير بالفنون الأدبية من شعر ونثر وخطابة، حاد الذهن، قوي الملاحظة في حل الألغاز وكشف الشبهات، مرح طروب في اجتياز العقبات وسلوك المصاعب.[1]

[1] كتاب سطور، خصائص المقامة، تم زيارة الموقع في 19 ماي 2024، على الساعة 10سا30د، https://sotor.com/%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5-/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%85%D8%A9

4/ تطور فن المقامة:

ممّا لا شك فيه أن كل فن أدبي لا يبقى على حاله بل يطرأ عليه مجموعة من التغييرات حسب البيئة التي ظهر فيها، ومثال ذلك "المقامة" التي دفعت الكثير من الباحثين إلى بيان تاريخها وتطوّرها عبر الزمن، وتتبع مراحلها، وتعد أيضا من الأبحاث العسيرة التي يصعب تحديدها نظرا للتراث المقامي المكتوب عبر التاريخ، فلا يمكن الإلمام به كليا، وذلك بذكر جميع المقامات التي كتبت خلال عشرة قرون أو أكثر وكيفية تطورها، فهذا الجنس الأدبي بدأ أولا « بالحكاية البسيطة أو الحديث الأدبي القصير يلقيه أعرابي بين خليفة من الخلفاء أو جماعة من الناس إلى أن تطور وبلغ مرحلة المقامة الفنية»[1]، ويمكننا حصر مراحل تطوره في الطرق الآتية:

- طريقة ابن قتيبة (ت 276هـ):

إن هذه الطريقة الأولى في الأدب العربي، حيث يعرف "ابن قتيبة" المقامات على أنها: « حكايات تاريخية وقعت لأشخاص تاريخيين، فعمل ابن قتيبة وأصحابه كان مُتجليا في حسن اختيار هذه الأحاديث الوعظية بإعطائها اسم "المقامات" فهي لم تبتكر فتدبج بأقلامهم الخاصة وإنما كان معولهم فيها الرواية والنقل، لذلك وجدنا هذا الضرب من المقامات لا يشهر، ولم له أي أثر خطير أو ضئيل على حياة الأدب العربي، مما جعلها تظل كما هي دون تطور».[2]

[1] عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، الجزائر، ط2، 1988م، ص212.

[2] المرجع نفسه، ص213.

- **طريقة البديع الهمذاني (ت 398هـ):**

تعد طريقة البديع أشهر خطة فنية لكتابة المقامات، وقد كادت تسيطر على ما عداها من الخطط الأخرى، التي لم تبلغ مبلغها من النجاح والشهرة والتطور، ويدل ذلك على كثرة الكتاب المقاميين الذين سلكوا خطة البديع خلال أطوار مختلفة من حياة تطور فن المقامة، حيث تتخذ طريقة البديع راويا ظريفا وبطلا أدبيا شحاذا محتالا، وأسلوبا مسجوعا في معظم الأحوال كما تتخذ لها مواضيع الوعظ، أو الوصف أو المدح...[1]

- **طريقة الزمخشري (ت 538هـ):**

لقد كتب "الزمخشري" خمسين مقامة، وهو العدد التقليدي لهذا الفن، وهي لم تقم على فكرة الكدية وقد خلت بحكم موضوعها الوعظي والتعليمي من السخرية والهزل وعناصر الإضحاك، كما خلت من الحوار خلوا تاما، أما الأبطال فلا نجد فيها لهم وجودا يذكر، وهي تبتدئ بهذه العبارة "يا أبا قاسم" بدل "حدثنا" أو "حكى"، وتمتاز خطته في معالجة المواضيع التعليمية والتأملية بكونها تتبع طريقة مباشرة في عرض هذه المواضيع بدون اتجاه إلى سوق الحكاية، كما أنها تخلو من عنصر المفاجأة خلوا تاما، وجعل موضوعها الأساسي الوعظ والتعليم بدل الكدية، واستغنى عن الراوي التقليدي.[2]

[1] المرجع السابق، ص220.

[2] عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص248- 249.

- **أبو محمد القاسم ابن علي بن محمد الحريري (ت516هـ):**

« إن أشهر من تأثر بالهمذاني هو الحريري، إذ كتب خمسين مقامة أشار في مقدمتها أنه اطلع على مقامات "الهمذاني" ومدح عمله، والملاحظ أن مقامات الحريري قد بدت كمقامات "الهمذاني" حتى صارت شهرتها أوسع، وتقليدها أكثر نظرا لتميّزها بالصياغة الأسلوبية ومعالجتها للعديد من المسائل الفكرية واللغوية، فمقامات الحريري هي التي فتحت الطريق إلى تقليد غير العرب لها، ونرى أنها هي التي نبّهت المقلّدين أيّا كانوا، إلى مقامات "الهمذاني" التي أهملت بصورة تكاد تكون تامة».[1]

وفي موضع آخر « ولا ريب أن الحريري استطاع أن يطور فن المقامات تطويرا واضحا بارزا، بحيث لم يعد يتناول المضمون الميادين الاجتماعية والهزلية وما يشبهها، كما نجد عند البديع، وإنما أصبح لا يلتفت إلى النواحي الاجتماعية إلا بمقدار يسير أما العناية الكبرى فهي كلها منصبة على المسائل النحوية والصرفية، والفقهية والإملائية، وقد طوّر الحريري جانب الشكل تطويرا جذريا، فأصبح السجع عنده صفة لازمة لا يحيد عنها أبدا، في حين أن البديع كان ربما عزف عن السجع وزهد فيه، وقلّ مثل ذلك في الجناس الذي كلف به الحريري كلفا شديدا، بالإضافة إلى الإكثار من الاستعارات والكنايات والتشبيهات، وأهم ما أدخل الحريري من تطورات على فن المقامة، نذكر:

- الإغراب في اللغة والتأنق فيها على نحو شديد.
- الإكثار من المحسنات البديعية المختلفة والكلف بالاستعارات والكنايات.

[1] عباس هاني الجراح، المقامات العربية وأثارها في الآداب العالمية، دار الصادق الثقافية الرضوان، عمان، الأردن، ط1، 2014م/ 1435هـ، ص14.

- العناية بالألغاز اللغوية، والأحاجي النحوية والصرفية والإملائية.
- معالجة المسائل الفقهية.
- اللعب بالألفاظ، والتزام ألوان الكلام خاصة في كل مقامة كأن تكون لفظة حروفها معجمة، ثم تتلوها لفظة أخرى خالية من الإعجام، وهكذا دواليك إلى أن تنتهي المقامة .
- الإلحاح على فكرة الوعظ إلحاحا باديا.

وهذه العناصر التطورية التي أدخلها الحريري على فن المقامة، ليست بالهينة فالكثير من الأدباء أقبلوا عليها، فهي تتماشى مع نفسيتهم، وأصبحوا ينظرون إلى مقامات الحريري نظرة الإعجاب الذي لا حد له.[1]

- **تطور فن المقامة بعد البديع:**

أ- في المشرق: « إذا كنا نستبعد أن تكون للخوارزمي أو لابن نباتة السعدي مقامات سبقا بها بديع الزمان، أو قلد بها مقاماته فإن المساحة الزمنية القصيرة التي تمتد بينه وبين الحريري، العالم الآخر الكبير في عالم الفن المقامي، تحفل بأسماء كثيرة جدت في مضمار الكتابة المقامية متأثرة بعمله في مقاماته أو بأعمال أخرى معاصرة أو سابقة مثلا، نجد ابن ناقيا الذي حاول التحرر من أسر البديع في رسم شخصيتي البطل والراوي، كما حاول التجديد في موضوعات مقاماته بالبعد عن موضوعات الكدية الصريحة، فقد حاول التطوير فيها لا تقليد الهمذاني في أسلوبه».

[1] عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص230- 229.

ب- **في المغرب والأندلس:** « لعل أول من تأثر بمقامات الهمذاني من أهل الأندلس "ابن شهيد" في رسالته التوابع والزوابع، فقد نقلنا إلى أودية الجن، ويلقي فيها توابع الشعراء والكتاب من أهل عصره، وسابقيه حيث يدور بينهم محاورات ومساجلات استطاع من خلالها أن يُبرز كثيرا من آرائه الأدبية، وأن يسخر من أدباء عصره سخرية لاذعة».

ومن رواد فن المقامة بالأندلس "محمد بن يوسف السرقسطي" والتي أسماها بالمقامة اللزومية، وعددها خمسون، وذلك في قوله: « هذه خمسون مقامة، أنشأها أبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي بقرطبة من مدن الأندلس».[1]

[1] حسن عباس، نشاة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف، [د.ط]، ص77- 85- 93.

خلاصة:

تعتبر المقامة من أرقى الأجناس الأدبية في النثر العربي القديم ومن أهم الفنون النثرية التي ظهرت في القرن الرابع للهجرة، فهي تملك فوائد عديدة كالاهتمام بالتعليم وإثراء المعرفة الأدبية ، كما أنّ اعتبارها فنا نثريا جديدا منافسا للشعر دفع الأدباء للاهتمام بها وألهمتهم أشد الإلهام إذ قام الكثير منهم بتقليدها.

الفصل الثاني

المقامات العربية وتأثيرها في الآداب العالمية

-تمهيد

1-المقامة في الأدب الفارسي

2-المقامة في الأدب الفرنسي

3-المقامة في الأدب الإسباني

خلاصة.

تمهيد:

كان للأدب العربي تأثيرا بالغا في الآداب العالمية والأوروبية خاصة من خلال العصور الوسطى وما بعدها، ويتضح هذا التأثير في أنّ كثير من الأعمال الأدبية الأوروبية التي تعد أعمالا من الطراز الأول وتحظى بشهرة عالمية، إنّما تحمل سمة التأثير العربي، ولقد بدأ هذا التأثير نتيجة لانتقال العديد من القصص العربية سماعا إلى أوروبا، وترجمة الأعمال الأدبية العربية الكبرى إلى العديد من اللغات الأوروبية وقيام الكثير من الأوروبيين بقراءة هذه الأعمال في لغتها العربية التي أجادوها وتأثروا بها أيما تأثر في إنتاجهم الأدبي، إضافة إلى أن الدراسات الأدبية المقارنة تشكل جانبا مهما في الأدب العربي الإسلامي، بصفتها أحد روافد ومصادر الأدب الخالد في تصد بها للكشف عن أثر تراثنا الإسلامي في تراث غيره من الأمم والبلدان الأخرى، سواء كان التأثير مباشرا، أو غير مباشرا، في كلا الجهتين النثر والشعر، فقد أخذ كتاب " ألف ليلة وليلة" حصة كبيرة ومكانة لا يستهان بها في هذا الميدان الأدبي المهم، بسبب التأثير الواضح الذي أحدثه في الأدب العالمي، وهناك فن آخر من فنون الأدب العربي، كان له أثر في الآداب العالمية كالإسبانية والفارسية والفرنسية وغيرها من الآداب وهو فن المقامات.

1/ المقامة في الأدب الفارسي:

كان اتصال العرب المسلمين ببلاد فارس (إيران) -منذ القديم- يعكس صورة الجوار بين هاتين الأمتين، ويصور الاحتكاك الجغرافي والسياسي بينهما، ولقد ازداد هذا التقارب عند مجيء الإسلام ودخول الفرس في دين الله، ثم ازداد التقارب والتلاحم في العصر العباسي، فكان من الطبيعي أن يتأثر الأدب الفارسي بفن المقامة، حيث نجد أن الكثير من الدراسات رأت أنّ هذا " الفن انتقل بفضل بديع الزمان إلى اللغة الفارسية".[1]

وعلى حسب "شوقي ضيف": « أن المقامة عرفت منذ وقت مبكر في الأوساط الفارسية».[2]

« ولعل روح التأثير المتبادل يعكسها القاضي "حميد الدين البلخي" الذي كتب أقدم مقامات فارسية وصلت إلينا بدافع ألا يحرم الفرس من هذا الفن الرفيع الذي ابتدعه العرب وافتنوا في أساليب بلاغته فأراد أن يوجد في الأدب الفارسي فنا شبيها به، وقد اعترف بأخذه عن الحريري، وبديع الزمان الذين ورد ذكرهما صراحة في المقامات الحميدية».[3]

ويعترف "دولتشاه"(Dowlatshah): « أن للعرب الفصاحة والبلاغة، وأن الفرس اتّبعوهم في ذلك، وقد حاكت علوم البلاغة في الفارسية نظيرتها في العربية».[4]

حيث نشأ فن المقامات أولا في اللغة العربية وانتقل بعدها إلى اللغة الفارسية، وكانت تقليدا لكل من بديع الزمان والحريري وقد اعترف القاضي حميد

[1]زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة الهنداوي للنشر، 2013، ص 203.
[2]شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1954م ص 04.
[3]يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص 317.
[4]محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، الطبعة التاسعة، أكتوبر 2008م، ص 227.

الدين البلخي بذلك الأمر، فقال: «كنت أصل الليل والنهار في مطالعة الكتب، وأتخذ من نفسها جلساء لوحشتي وأنسا لوحدتي...حتى ظفرت ذات وقت بحسن المصادفة والاتفاق، أثناء نشر تلك الأوراق وطيها بمقامات "بديع الزمان الهمذاني" و"أبي قاسم الحريري"».[1]

ويقول الدكتور "بديع محمد جمعة": «العلاقة بين الأدبين العربي والفارسي قديمة قدم العلاقات التاريخية بينهما، فقد بدأت هذه العلاقات الأدبية قبل الفتح الإسلامي لإيران وذلك لتعدد قنوات الاتصال بين الأدبين والتي يسرت التواصل بين الشعبين وأوجدت فرصا عديدة للتأثير والتأثر بين الأدب العربي والفارسي»[2]، وفي رأي "محمد تقي بهار" أنه: «في القرن السادس دخلت طريقة كتابة المقامات في النثر الفارسي وخير مثال عن ذلك مقامات القاضي "حميد الدين عمر بن محمد المحمودي البلخي" المتوفى سنة 559هـ».[3]

وذكر الأستاذ "فارس إبراهيمي" : «أن حميدي ألّف مقاماته سنة خمسمائة وواحد وخمسين وقد نصّ في مقدمة كتابه بأنه لم يسبق كتابة المقامات في الأدب الفارسي، مما يجعلنا نؤكد بأن هذا الفن قد نشأ في بلاد العرب وأن الحميد هو المنشأ الأول والأخير لهذا الفن في الفرس، أما مضمون المقامات فهي مناظرات تتعلق ببعض الموضوعات المتفرقة، مثل المقامة المتعلقة بالشباب والمشيب، والمتعلقة بالسني والشيعي، والمتعلقة بالطيب والمنجم، وبعضها يتحدث عن موضوعات مُختلفة كالربيع والخريف، والحب والجنون، وعلم النجوم والطب، أو

[1] عباس هاني الجراح، المقامات العربية وآثارها في الآداب العالمية، دار الصادق، عمان، ط1، 2014م-1435هـ، ص 26.

[2] الدكتور صباح عبد الكريم مهدي، أثر المقامات العربية في الأدب الفارسي، مجلة آداب البصرة، العدد 49، سنة 2009م، ص 38.

[3] المرجع نفسه، ص 38.

جمال الفتيات وغدر النساء، وبعضها عبارة عن ألغاز وأحاجي أو معميات، كما أن بعضها يتناول موضوعات فقهية، أو تأملات صوفية، وهناك مقامتان من النوع الصوفي، وصف فيها مدينتي (بلخ) و(سمرقند)، وقد بلغت مقاماته أربعة وعشرين مقامة، ورأى "فارس ابراهيم حريزي" أنها ثلاث وعشرون مقامة، لأنه عد مقامة (الخريف) ليست له».[1]

وأوضح المستشرق الإنجليزي "إدوارد براون" (E.Brown) أن: «مقاماته لا تبلغ مبلغ زميلاتها العربية من حيث الموضوع والسبك والبراعة في الأداء، ولكنها مع ذلك حازت كثيرا من إعجاب الفرس وتقديرهم».[2]

وقد أراد القاضي أن يتمم مقاماته خمسين مقامة كما فعل الحريري ولكنه لم يوفق إلى ذلك نظرا إلى الظروف الصعبة التي حالت بينه وبين إتمام هذا.[3]

1-1- مظاهر التأثر بالمقامات العربية:

ومن مظاهر التأثير العربي في المقامات الفارسية نجد:

- الإطار العام الذي تدور فيه أحداث مقامات حميدي هو الكدية والتسول، وما يتبع ذلك من حيل ودهاء وروح مرحة تيسر لصاحبها السبل نحو خداع ضحاياه، وهذا الإطار نفسه الذي دارت حوله المقامات العربية.[4]

- تتفق مقامات الحميدي مع المقامات العربية في العناية بالألفاظ، لاسيما صناعة السجع والإكثار من الألغاز مثاله في ذلك مثال الحريري، وقد استخدم في تحقيق غلبة اللفظ على المعاني كثرة للألفاظ العربية التي يصعب على القارئ الفارسي

---

[1] د. عباس هاني الجراح ، المقامات العربية وآثارها في الآداب العالمية، الرضوان للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، الأردن، 2014، ص 24-25.

[2] المرجع نفسه، ص 25.

[3] يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص 319.

[4] د. صباح عبد الكريم مهدي، مرجع سبق ذكره، ص 40.

العادي فهمها نتيجة لتأثر مقامات الحميدي الفارسية بالمقامات العربية فقد كثرت فيها الألفاظ والجمل العربية فضلا عن تضمين القاضي حميد الدين نثره أبياتا من الشعر العربي وكذلك الأمثال العربية والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.[1]

- لم يغفل القاضي في مقاماته شخصيتي الراوي والبطل، ولقد حافظ على فكرة الاغتراب في مقاماته، فالراوي لابد له أن يغترب أمّا البطل فإنه يكون في معظم حالاته في صورة شيخ مسن يتجه إلى الناس بالوعظ أو الخطب أو الإنشاد أو النظم.

- تتميز مقاماته بجانب فكاهي ينطوي على غاية تعليمية ونقدية "أدبية واجتماعية".

- كما نلاحظ أنّ القاضي كان يحلى مقاماته ببعض الأشعار والتعبيرات العربية، وفي ذلك تحفيز للقراء الفرس لتعلم اللغة العربية والاستمتاع بذخيرتها الفنية والفكرية.[2]

2/ المقامة في الأدب الفرنسي:

كان الفرنسيون يذهبون إلى إسبانيا، حيث كانت اللغتين العربية واللاتينية تعلمان جنبا إلى جنب، ويقرؤون العربية على أهلها، اضف إلى ذلك المسلمين المستبعدين الذين كانوا على أرض فرنسا، فكلهم يتكلمون الفرنسية.

كما أنّ ذهاب بعض المسلمين إلى أوربا على اثر قرار طردهم من الاندلس سنة 1609 م ساهم في معرفة الفرنسيين للغة العربية وآدابها، وكانت زيارات بعضهم إلى جامعة قرطبة بالأندلس أو زيارتهم إلى افريقيا تؤكد جمال اللغة.

[1] المرجع السابق، ص 40.

[2] يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص 319-320.

لطالما ارتبط الأدب الفرنسي بالأدب الإسباني وتأثر به، ولما كان هذا الأخير قد تأثر بالأدب العربي الإسلامي فبالنتيجة أصبح الأدب الفرنسي متأثرً بالأدب العربي.

ففي مقامات "الهمذاني" نجد المقامة البشرية نسبة إلى "بشر بن عوانة الكلبي" الذي أراد أن يتزوج فاطمة ابنة عمه، إلا أن عمه رفض ذلك، ثم احتال عن طريق طلب مهر تعجيزي منه، وهو أن يحضر له ألف ناقة، وفعلا وافق بشر على إحضار المهر المطلوب، وفي طريقه قابله أسد وتمكن من قتله، ثم صادف أفعى فقتلها أيضا.

وهناك قصة فرنسية هي (لانسلو وجنيافر) "Lancelot et Guenièvre" أو (الفارس ذو العربة) التي ألفها "كريتيان دي تروا" (Chrétien de Troyes) بناء على طلب أميرة اقليم شامبانيا "ماري فرانس" (Marie France) ، وهي تحكي عن البطل "لانسلو" الذي يتحمل المخاطر في سبيل تخليص حبيبته الملكة جنيافر من السجن الذي وضعها فيه العملاق "ميلياجان" (Méléagant)، فيصارع في طريقه أسدين والعملاق منتصرا عليهم.[1]

ولقد ذهب بعض الباحثين إلى أنه ثمة وجه شبه قوي بين مغارات هذه القصة والمخاطر التي وردت في مقامة "الهمذاني"، إلا أن "د.محمد غنيمي هلال" يرى أنه من الصعب إثبات الصلة التاريخية بين القصتين العربية والفرنسية، إلا أننا لا نستطيع أن ننفي وجود التقارب الواضع بين القصتين، إذا عرفنا أن الحب العفيف هو مدارهما، وقد عرّف الفرنسيون هذا اللون من الغزل تحت عنوان (التروبادور Troubadour)، وأول "تروبادور" عرفه تاريخ الأدب الأوروبي هو

[1]عباس هاني الجراح، ، المقامات العربية وآثارها في الآداب العالمية، دار الصادق، عمان، ط1، 2014م-1435هـ، ص 88-89-90.

غيوم التاسع (Guillaume IX) الذي كان له اطلاع على الأدب العربي، ونتيجة لانتشار قصص الشطار (البيكارسك الإسبانية) (Novela picaresca) في فرنسا فقد نسج الفرنسيون حولها حالة من الإعجاب، لأنها فن جديد، فنجد أن الفرنسي "أورنيه دورفيه" (Honoré d'Urfé) قد تأثر برواية "ديانا" (Diana (للأديب الإسباني" مونتماير" (Montemayor) وألف روايته "أستريه" (Astree) عام 1910م وهي قصة حب رعوية فيها مغامرات كثيرة.

حيث عمد الفرنسيون على حذف دور الراوي الموجود في المقامة العربية كي يسهل القصة على الأوروبيين، وكان لرواية "دون كيخوته" Don" Quichotte" الإسبانية أثر واضح في تحول الرواية الفرنسية واتخاذها الوجهة الواقعية، فقد ظهر "جوتييه" (Gauthier) صاحب قصة موت الحب عام 1616م، ثم كتب "شارل سورل" (Charles SOREL) تاريخ فرانسوا الحقيقي الهازل وهي مغامرات من نوع البيكارسك مستمدة من حياته الخاصة نشرها في باريس سنة 1622م، إضافة الى قصة (جيل بلا دو سانتلان) "Gil Blas de Santillane"، لمؤلفها "ألان رينيه لوساج" (Alain-René LESAGE) التي ظهرت عام 1715م، و قد روى فيها حكايات اللصوص والمغامرين والمتسكعين في ثلاثة أجزاء وصور أخلاقهم وعاداتهم.[1]

[1]عباس هاني الجراح، المقامات العربية و آثارها في الآداب العالمية، ص 90-91.

3/ المقامة في الأدب الإسباني:

يبدو عجيبا أن يكون *المستشرقين* هم أول من نبّه إلى التأثير الكبير الذي أحدثته المقامات في الأدب الإسباني، وفي هذا الصدد، يذكر الإسباني "آنجال جونزالس بلانثيا" (Ángel González Palencia) صلة المقامات بالأدب الإسباني في قوله: «هو موضوع جدير بالدراسة وأما الباحثون العرب فمنهم من ينقل آراء المستشرقين دون دراسة أو تمحيص، ومنهم من يتردد في قبول أثر المقامات في الأدب الإسباني ومنهم من يرفض ذلك رفضا قاطعا».[1]

3-1- معايير انتقال المقامات إلى إسبانيا:

من أهم المعايير التي ساهمت في انتشار المقامات في الأندلس (إسبانيا) هي:

3-1-1- **الأندلس:**

فتح العرب المسلمون الأندلس عام 92هـ/711 م واستقروا فيها، فالثقافة الإسلامية قد بلغت ذروتها وإشعاعها في تلك الجزيرة، فقد كانت الآداب والفنون مزدهرة بشكل عظيم، و تعتبر جامعة قرطبة من أعظم جامعات العالم آنذاك، والتي تعج بالأدباء والعلماء والمفكرين من شتى بقاع العالم، في حين كانت أوروبا وقتها غارقة في ظلام الجهل والتخلف.

3-1-2- **مدرسة المترجمين في طليطلة:** (Escuela de traductores de Toledo)

أُنشئت هذه المدرسة على يد " رايموندو (Raimundo) سنة 1150م وقد أدت دورا عظيما في ترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات اللاتينية، وكان الرحالة من "أكسفورد" و"باريس" و" سلامنكا" عندما يصلون إلى طليطلة يحتاجون إلى

[1] المرجع السابق ، ص 224.

الباحثين المسلمين ليدلوهم على المخطوطات العربية في مختلف فروع العلوم والآداب.[1]

3-1-3- الرحلات بين الأندلس والمشرق:

كان يعتبر أهل الأندلس أهل المشرق قدوة لهم، حتى كان الراحل منهم إلى المشرق إذا التقى بعالم أو أكثر وقرأ عليه شيئا من علمه ينقله إلى وطنه وهو فخور، ونتيجة لذلك فقد وصلت إلى الأندلس الكثير من كتب المشارقة، وفي المقابل كانت هناك رحلات مشرقية إلى الأندلس، حيث أخذت الأندلس تستقبل هؤلاء الوافدين إليها بما يحملونه من معارف، و ساعدت تلك الزيارات في تعريف أهل الأندلس بتراث إخوانهم في المشرق العربي.[2]

3-2- اهتمام الأندلسيين بالمقامات:

بعد ظهور مقامات بديع الزمان الهمذاني (1007م – 398 هـ) و مقامات القاسم بن علي بن عثمان الحريري (1132م - 516 هـ)، انكب الأدباء في مختلف أنحاء العالم الاسلامي على تقليدها حيث اشتهر ابن شهيد الأندلسي بتأليفه لرسالة التوابع والزوابع وهي متأثرة بالمقامة الإبليسية عند "الهمذاني"، ورسالته في الجلواء، المتأثرة ببعض مقامات الهمذاني كالمقامة المضيرية أو البغدادية وفي حين أن بعض الأندلسيين قد فضّلوا مقامات الحريري على الهمذاني وذلك لسببين فالسبب الأول هو أن الحريري طوّر هذا الفن وأما السبب الثاني أنه كان حيا وقت بدء الرحلات الأندلسية المشرقية فيروي ابن الآبار(658 هـ) أن الكثير من الاندلسيين سمعوا من الحريري مقاماته الخمسين ببستانه في بغداد، وللأهمية الكبيرة التي

[1] عباس هاني الجراح، مقامات و أثرها في الأدب الاسباني، مجلة الدار،العدد الأول ص 224.

[2] عباس هاني الجراح، مقامات و أثرها في الأداب العالمية، دار الصادق عمان ط1 2014 م ص58.

حضيت بها مقاماته فقد قلدها عدد من الأدباء الأندلسيين منهم أبو طاهر محمد بن يوسف السرقسطي (538هـ) الذي ألف خمسين مقامة في قرطبة، وحذا فيها حذو الحريري من حيث الشكل والمضمون، ومن الأدباء الذين شرحوا مقامات الحريري نذكر أبو بكر محمد العبدري (567 هـ) وعلي بن أحمد الشريسي (538هـ) وأبو أحمد الخذامي (598 هـ) وغيرهم من الأدباء...

وأهم شرح هو الذي قام به الشريسي فقد وصفه المستشرق "آنجال جونزالس بلانثيا" (Ángel González Palencia) على أنه أكبر شراح مقامات الحريري في العالم الإسلامي.[1]

3-3- تقليد اليهود الإسباني للمقامات:

لقد نالت المقامات شهرة فائقة في إسبانيا حيث تم تقليدها من طرف المسلمين الأندلسيين واليهود الأسبان، ومن المعروف أن اليهود كانوا يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين وكثير منهم يجيدون اللغة العربية قراءة وكتابة، وهؤلاء اليهود كانوا قد دهشوا و أعجبوا بالمقامات العربية ومن أشهر من قلد هذه المقامات هو "سليمان بن زقبيل"، وفي أوائل القرن الثاني عشر ميلادي ظهر أديب رباني يهودي هو " يهودا بن شلومو الحريزي " (Yehouda ben Shlomo al-Harizi) "الذي أُعجب بمقامات الحريري وقام بترجمتها إلى لغة قومه وقد استجاب لرغبة أصدقائه بطليطلة في الإطلاع على هذا النمط القصصي، وقد ألف كتابا أصيلا في معارضة المقامات فصنع خمسين مقامة ذات طابع مسرحي خاص سماها " سفر تحكموني" أي كتاب الحكمة.

[1] عباس هاني الجراح، مقامات و أثرها في الأدب الاسباني، مجلة الدار،العدد الأول ص 225.

وجاء بعده " يوسف بن ماثر بن سابرا" الذي ألف كتاب "التعاليم المفرحة " ببرشلونة قبل عام 591هـ-1194م، وهو عبارة عن مقامات تكشف عن مقدرة صاحبها وقوة محصوله الأدبي والعلمي.[1]

وجاء بعده "إبراهيم بن صمويل حاليفي بن حمدان البرشلوني" (ت 638هـ) وله مقامات مقسمة على فصول تتخللها أقاصيص وقطع من الشعر الديني الوعظي، وهذا المؤلف من أكثر كتاب هذه الطائفة جهودا في ترجمة الفكر العربي إلى العبرية».[2]

ثم "يعقوب بن العازار الطليطلي"، الذي ألّف مجموعة من المقامات كتبها بالعبرية والملاحظ أن هذا اللون من الأدب العبري المتأثر بالمقامات العربية، قد انتشر في إسبانيا لا سيما في مقاطعة " كتالونيا Catalogne " وقد أدت محاربة المرابطين لليهود الى نزوح عدة عائلات يهودية من الأندلس واستقرت في فرنسا، وقد ساعد هؤلاء في عملية نقل الثقافة العبرية إلى أوروبا وهي الثقافة المتأثرة قطعا بالعربية.[3]

3-4- المقامات وقصص الشطار:

في أواسط القرن السادس عشر نشأت في إسبانيا الرواية التشردية أو رواية الصعاليك (Picaresce)، ولتقريب الأمر نذكر أن أول مرة استعملت فيها كلمة "بيكارو" (picaro) كانت سنة 1525م بمعنى مساعد الطباخ (Marmiton)،

[1] المرجع السابق، ص 228-229.

[2] عباس هاني الجراح، المقامات العربية وآثارها في الآداب العالمية، دار الصادق، الرضوان، عمان، 2014، ص 68.

[3] المرجع نفسه، ص 68.

ولكنها ظلت محتفظة بهذا المعنى حتى عام 1545م حين أصبح مفهومها يعني "الاستهتار" ويرى بعض الباحثين العرب أن أصل الكلمة جاء من الكلمة العربية (الفقير) التي تقابل (Picaro)، و" فقيرا " بالتنوين التي تقابل (Picaroon).

والمعنى المتعارف عليه للكلمة أن قصص الشطار هي لون من ألوان الأدب الإسباني، تتناول مغامرات الصعاليك والشطار وأحوالهم وسفرهم، وبطل هذه القصص يكذب بلا تردد، يسرق ويخدع، ويستغل غباء الناس بشكل حاذق، ويدبر مقالب شريرة مختلفة للسادة من طبقة الأشراف ورجال الدين البخلاء، وهي في ذلك تصوير للأحوال الاجتماعية و البيئة الإنسانية.[1]

3-4-1- آراء الباحثين:

يؤكد الباحثون والدارسون الأجانب تأثر هذه القصص الإسبانية بالمقامات حيث يقول " هاملتون جب" (Hamilton Gibb) أنه: « يعتقد بأن الرواية البيكارسية الاسبانية تبدي بعض التشابه مع المقامات العربية في صيغتها وسياقها، وبحث في هذا الموضوع المستشرق الإسباني "بسكوال دي جاينجوس" (Pascual de Gayangos) عند ترجمة للمقامات عام 1796م.

وقد أشار شيخ المستشرقين الإسباني " مينيندیث أي بيلايو" (Menéndez y Pelayo) إلى الشبه بين بطل المقامات أو ما يسميه بالحاذق "أبي زيد السروجي" وأبطال رواية البيكارسك، ويتفق رأي الباحث الإسباني "أمريكو كاسترو" (Américo Castro) مع رأي ذلك التأثير الجلي للمقامات، ويرى أن القصص البيكارسكية إنما تدين بفضل وجودها للحديث العربي، الذي كان يعني حكاية كل ما هو طريف، وقد كان الأوروبيون يُقبلون في تشوق وشغف على تلك الأحاديث

[1] عباس هاني الجراح، المرجع السابق، ص 230-231

التي يقصها العرب في مجالسهم، ويبدو جليا أنّ الباحث يقصدنا هنا بالحديث المقامة، الذي يعد أحد معانيها اللغوية.

وفي رأي الباحث " أدولفو بونيلا" (Adolfo Bonilla) أن تعبير بيكارسيك يعود إلى أصل عربي، وهذا ما يؤكده المؤرخ فيليب حتّى (Philip Hitti) في قوله أن المقامات قريبة جدا من الروايات القصصية الإسبانية، وبعض القصص في الأدب الإسباني.[1]

أمّا إذا انتقلنا إلى الباحثين العرب، فنجد أن أشهر من أشار إلى هذه القضية هو "د.محمد غنيمي هلال" في كتابه الأدب المقارن في قوله :" أثرت المقامات العربية في الأدب الأوروبي تأثيرا واسعا متنوع الدلالة، فقد غَذّت هذه المقامات قصص الشطار الإسبانية بنواحيها الفنية، وعناصرها ذات الطابع الواقعي، ثم انتقل هذا التأثير من الأدب الإسباني إلى سواه من الآداب الأوروبية ».

وللدكتور "محمود طرشونة" كتاب بعنوان (الهامشيون) في المقامات العربية وقصص الشطار الإسبانية، وهو غني بفكرة التأثر والتأثير. كما نجد أن يوسف نور عوض يرفض أي تأثير للمقامات في الأدب الإسباني.

[1]المرجع السابق، ص 230-231

خلاصة:

كان للمقامات العربية تأثير كبير على الآداب العالمية، فنجد الأثر العربي على المقامات الفارسية واضح وجلي، خاصة بعد اعتراف مقامين الفرس بإطلاعهم المباشر على المقامات العربية وانتهاجها والنسج على منوالها، إضافة إلى أثرها في الأدب الأوروبي، والذي بدا جليا في قصص الشطار الإسبانية، وبعدها انتقل إلى الآداب الأوروبية الأخرى كالأدب الفرنسي الذي تأثر بقصص الشطار الاسبانية، وكان لهذا التأثير دور في تقريب القصة الغربية بوجه عام من واقع الحياة المعاشة.

الفصل الثالث

المقامات العربية وحكايات الشطار الإسبانية

-تمهيد

1-مفهوم الرواية البيكارسكية (الشطارية)

2- خصائص الرواية البيكارسكية "الشطارية"

3- أثر الأدب العربي القديم على الرواية البيكارسكية

4- دراسة مقارنة بين مقامات العربية وقصص الشطار الإسبانية (رواية لاثاريو دي ترميس)

خلاصة.

تمهيد:

إن موضوع التأثير العربي الإسلامي على الثقافة الأوروبية ليس بجديد وقد تطرق إليه العديد من الباحثين، فهناك منهم من يُشيد بدور العرب والمسلمين في إيقاد شرارة الحضارة الأوروبية، والبعض الآخر يُشكك بذلك، ففي إسبانيا نجد أنه بعد دخول المسلمين الأندلس قدموا لسكانها الأصليين أصنافا عدّة من العلوم والآداب، ونقلوا معارفهم من الفلسفة والتربية والطب والفلك، ونظرا للاهتمام الذي أبداه ملوك الأندلس بالعلم والعلماء، أصبح اللسان العربي وإتقان اللغة العربية ونظم الشعر أمورا يتفاخر بها السكان الأصليون، وانكب الإسبان يستقون من الكتب العربية باختصاصاتها المختلفة واتجاهاته المتعددة، حتى بدأ رجال الدين المسيحيون يعبرون عن خوفهم وسخطهم من هذه الظاهرة، فالكثير منهم نسي لغته، ونادرا ما نجد من بينهم شخصا واحدا يجيد الكتابة باللاتينية، بينما معظمهم يعبر بالعربية بمهارة فائقة. يبدو جليا مما سبق أن المسلمين قد سعوا إلى توفير الحرية لكل الديانات للتزود بمختلف الثقافات، ممّا مهّد التقارب الثقافي وظهور أفكار جديدة زاوجت بين الفكر الوافد والبيئة الجديدة، وبذلك ظهر أدب جديد فيه بعض من أدب المشرق وفيه بعض من الحياة الأندلسية، وتعتبر المقامة فنا أدبيا نقله العرب إلى إسبانيا مما دفع الأندلسيين إلى الكتابة بها سواء كانت ديانتهم إسلامية أو مسيحية أو يهودية وذلك نظرا إلى جزالة اللفظ وروعة الأسلوب وحلاوة القصة، فهم يبحثون عن كل ما هو رائع بين العلوم والآداب العربية لدراسته والسير على خطواته ومقلدين للنص الأصلي ثم يطورونه مبتعدين عنه رويدا رويدا. ونظرا لما تركه المسلمون من تراث شعبي واسع فيه المئات من القصص التي تتحدث عن اللصوص والشطار والعيارين وتركوا بعضا من الكتب والمخطوطات التي تناولت حياة الصعاليك ومغامراتهم، فهذا

الإرث الشعبي فتح مجالا واسعا للإسبان ليخطوا ما خطاه العرب في فترة تواجدهم، ومن ضمن ما كتبوه: الرواية البيكارسكية متأثرين بالمقامة العربية، فأين يكمن وجه الشبه والاختلاف بينهما؟ وهذا ما سنحاول الاجابة عليه في هذا الفصل.

1- مفهوم الرواية البيكارسكية (الشطارية):

- **الدلالة اللغوية والاصطلاحية:**

تدل لفظة بيكارسيكا (picaresca) على جنس أدبي جديد تشكل في إسبانيا لأول مرة، ثم انتقل بعد ذلك إلى فرنسا وألمانيا وإنجلترا وأمريكا، وتعني هذه الرواية ذلك المتن السردي الذي يرصد حياة البيكار أو الشطاري المهمش، وهذا ما جعلنا ننسبها إلى بطلها بيكار و (الشاطر) أو (المغامر)، وجاء تعريفه في قاموس الأكاديمية الإسبانية كالتالي: «نموذج شخصية خالعة وحذرة وشيطانية وهزلية، تحيا حياة غير هنيئة كما تبدو في عيون المؤلفات الإسبانية»، أو أنه: «بطل مغامر شطاري مهمش صعلوك محتال متسول».

وتعني (picaresque) في اللغة الفرنسية الأعمال التي تصف الفقراء والمعوزين والمعدمين والصعالكة والمتسولين والأنذال أو قيم المتشردين والمحتالين واللصوص في القرون الوسطى.[1]

وتبعا لذلك، فإن البيكارو ينتمي إلى طائفة المتسولين، لا يبالي كثيرا بالقيم ومسائل الأخلاق ما دام الواقع الذي يعيش فيه منحطا وزائفا في قيمه، يسوده النفاق والظلم والاستبداد والاحتيال حتى من قبل الشرفاء والقساوسة والنبلاء

[1] د.جميل حمداوي: الرواية البيكارسكية أو الشطارية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثامن، 2008، ص54.

ومُدّعي الإيمان والكرم والثراء...وهم البيكارو الوحيد هو البحث عن لقمة العيش والرزق، لذلك فهو في حياته مزدوج الشخصية، جاد في أقواله ونصائحه ومعتقداته، ولكنه في نفس الوقت، يسخر من قيم المجتمع وعاداته وأعرافه المبنية على النفاق والهراء...ويرفض البيكارو اتخاذ عمل منتظم لرزقه، بل يتسكع في الشوارع ويتصعلك بطريقة عبثية، يستغل فرص الاحتيال والحب والغرام ويفضل الارتحال والكسل والبطالة، وعلى الرغم من كل هذا يحصل على المال لا باغتصابه، بل بالحيل والذكاء واستعمال المقدرة اللغوية والمراوغة وفصاحة اللسان وبلاغة البيان والأدب، ويجعل الناس يقبلون عليه بسلوكياته ومواقفه ويرغبون في مصاحبته ومعاشرته اشفاقا عليه وعطفا واستطرافا.

وتعتبر نصوص البيكارسك بمثابة قصص تروي عادات وتقاليد الطبقات الدنيا في المجتمع، أي أنها قصص مغامرات الشطار ومحنهم ومخاطرهم، لذا غالبا ما تكتب بصياغة سيرية أو بيوغرافية (Biographie) روائيّة واقعية، سواء بضمير المتكلم أو بضمير الغائب، لذا تسمى أيضا بالرواية الاوطوبيوغرافية البيكارسيكية التي تؤكد مدى اعتماد الرواية على تصوير البعد الذاتي وتجسيد تقاطعه مع البعد الموضوعي، وتتخذ هذه الرواية صيغة هجائية وانتقادية لأعراف المجتمع وقيمه الزائفة المنحطة فاضحة إياها بطريقة تهكمية ساخرة منددة بالاستبداد والظلم والفقر.[1]

وفي تعريف آخر: « عرفت قصص الشطار عند العرب باسم البيكارسك (picaresque) وهو اسم مشتق من الكلمة الإسبانية (picaro) اسم الفاعل من الكلمة الأولى، وتدل على بطل صعلوك، دجال، محتال، شحاذ بالعربية ويدخل تحت هذا التصنيف كل أنواع البخلاء أيضا، وهذا في حد ذاته يفسر ماهية هذا

[1] المرجع السابق، ص54-55.

النوع القصصي، إذ هو يتناول بالوصف حياة ومغامرات الفتية الصعاليك الذين يجوبون الآفاق وراء إشباع رغباتهم ويقضون حياتهم يوما بيوم سابحين مع التيار حيثما يُلقي بهم، وتصف هذه القصص الأجواء التي يعيش فيها هؤلاء الصعاليك، وهي تختلف باختلاف أقدار كل واحد منهم، فهو أحيانا يعاشر أفقر الناس وأحيانا أخرى ترفعه عجلة الخط إلى الأدوار العليا فيعيش عيشة الأغنياء...».[1]

وبالتالي، فالرواية الشطارية هي التي تدور أحداثها حول العادات والتقاليد الخاصة بالطبقات المعدومة.

ويعرف "إسماعيل العثماني" الرواية الشطارية في المعجم اللغوي: «الشاطر لغويا، هو من أعيا أهله خبثا، ويقال (شطر عن أهله) بمعنى (نزح عنهم وعصاهم وعاش في الخلاء)، ويقال: (شطر فلان شطارة) أي: (اتصف بالدهاء والخيانة)، والشاطر (اللص الذي يستخدم الحيلة)، أما في مجال الأدب والنقد الأدبي فيقترن مصطلحا (الشاطر) و (الشطارة) عادة بنوع أدبي حديث نسبيا ظهر أول مرة في إسبانيا في منتصف القرن السادس عشر ويُعرف في اللغة الاسبانية بـ (literatura picaresca) وفي اللغة العربية بأدب الشطار أو الأدب التشردي أو الأدب الصعلوكي أو أدب الكدية»[2]، ومنه فالرواية الشطارية مبنية على الحيلة والدهاء.

إذن الرواية الصعلوكية هي: « رواية متمردة تبني مضمون سردها على حظوظ ومحن بطل (صعلوك) يسعى إلى الالتحاق بطبقة المجتمع النبيلة، ويسعى أيضا إلى اقتناء الثروات والمجد لتغيير نمط حياته ووضعيته من حالة سيئة

[1] ماهر البطوطي، الرواية الأم ألف ليلة وليلة في الآداب العالمية ودراسة في الأدب المقارن، مؤسسة الهنداوي، 2005، ص166.

[2] إسماعيل العثماني، الأدب الشطاري، تعريف جديد لأدب قديم، مجلة الأفاق، العدد 61- 62، 1999، ص131.

وبائسة إلى حالة أحسن، يُحمد عليها ويُعترف له فيها بمقامه وشرف مولده، لكن سعيه وحلمه و أوهامه محكوم عليها كلها سلفا بالخيبة والفشل، فهذا البطل أو الفارس الصعلوك يُقصد به، ضمنيا، المواطن الأندلسي المتشرد، لا يمكن أن يهرب من قدره الذي رسمته له الطبقة الجديدة الحاكمة للوطن، فهي ظاهرة تمرد لفئة مهمشة من المجتمع على أخلاقيات الفئة السائدة من النبلاء، ومن مواصفات هذا البطل البيكارسكي الشطاري أنه مخلوق بائس، شرير، قذر، سكير، شحاذ، مخادع، انتهازي، لئيم، لا ضمير أخلاقي له، وفي الأدب الجاهلي كان يُطلق مصطلح صعلوك على أبناء الحبشيات السود، وقطاع الطرق، والرافضين لمجتمعاتهم القبلية، وأولئك الذين تبرأت منهم قبائلهم لأسباب إجرامية، ونذكر منهم على سبيل المثال الشنفرة وعروة ابن الورد ...وغيرهم».[1]

2- خصائص الرواية البيكارسكية "الشطارية":

تتمثل خصائص ومرتكزات الشكل الروائي البيكارسكي في النقاط الآتية:

- الرحلة بمغامراتها ومفاجأتها العديدة.
- صعلكة البطل وعطالته وتمرده على الواقع الرسمي والمؤسساتي.
- مواجهة البطل لمجموعة من المحن والمكائد.
- الطابع الأوطوبوغرافي (السيرة الذاتية أو الاوطوبغرافية).
- التمرد والتشرد والاحتيال الشطاري.
- المعاناة من التهميش والاغتراب والفقر والظلم والانطواء على النفس.
- التهجين الأسلوبي وشعبية الملفوظ والتقاط اليومي المبتذل.

[1] فؤاد اليزيد السني، مقالة "السيرة الذاتية في معطف الرواية الصعلوكية"، موقع ديوان العرب، ديسمبر، 2009:
https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%91%D9%8A%D8%B1%D9%8E%D8%A9

- الباروديا (Parodie) والسخرية والضحك الماجن والمفارقة.
- الواقعية الإنتقادية في هجاء الواقع والناس واعتماد الثورية في تحدي أعراف الواقع ومواجهة قيمه المبتذلة.
- الإباحية والاحتيال وجدلية الذاتي والموضوعي.
- الصراع بين القيم الأصيلة والقيم المنحطة.
- الانطلاق من فلسفة العبث والسأم والقلق الوجودي والضياع التشردي.[1]

3- أثر الأدب العربي القديم على الرواية البيكارسكية:

لم يظهر الأدب البيكارسكي في إسبانيا إلا تأثرا بالفن الشعبي العربي بالأندلس، ولسيما ظهور طبقة اجتماعية من الشطار العرب والمسلمين المُهمشين المتشردين، الذين آثروا حياة الصعلكة والبطالة والتمرد على قوانين المجتمع والسلطة، وكانوا يعيشون على حافة المجتمع سواء بالأندلس أم في ربوع أخرى من العالم العربي الإسلامي التي انفتحت عليها إسبانيا، ويقضي هؤلاء الشطار (picaros) حياتهم في التسول والارتحال والعناء وممارسة الكدية والاحتيال قصد الإيقاع بالآخرين من أجل الحصول على المال أو الحب أو لقمة العيش، وكان هؤلاء الصعاليك المحتالون يلقبون في الثقافة الإسبانية بالمورو (Moro)، وتحضر صور هؤلاء كثيرا في الرواية الشطارية الإسبانية، إذ يقول "محمد أنقار": « إنّ ما يلفت النظر في الرواية الشطارية هو ضآلة صور المورو على الرغم من أن الظاهرة الموريسكية لم تكن قد تلاشت نهائيا خلال تلك الفترة، ويتعلق الأمر على الخصوص بالروايتين النموذجتين "حياة لاثريو دي تورميس" (La vida de Lazarillo de Tormes) و "تاريخ حياة البوسكون"».

[1] د.جميل حمداوي: الرواية البيكارسكية أو الشطارية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثامن، 2008، ص56.

وتعتبر رواية " لاثريو دي تورميس" « نموذجا شطاريا في إدانة المسلم وتصوير وضعيته الرديئة حتى لدى الأوساط الدنيا، لكي يعلم الناس أن المورو لا يؤدب إلا بعقابه وتوبيخه وإيقافه عن حده».[1]

ومن خلال ما سبق، سنحاول تبيان في السطور القادمة أوجه الشبه والاختلاف بين المقامة العربية والرواية الإسبانية الشطارية.

3-1- حياة لاثريو دي تورميس وحظوظه ومحنه:

La vida de Lazarillo de Tormes y de sus fortunas y adversidades

- **ملخص الرواية:**

تعتبر الرواية من أبرز وأهم الروايات المشهورة في الأدب المكتوب باللغة الإسبانية، حيث أن كاتبها مجهول الهوية، وقد ظهرت ثلاث طبعات أولى لهذه الرواية عام 1554م، أي في بداية النصف الثاني للقرن السادس عشر ميلادي، وهو أحد القرنين الذهبيين في تاريخ إسبانيا، وهي تعتبر من الروايات الواقعية التي تتناول أدب الشطار والصعاليك الذي يحفل بهم أدبنا العربي إذ يشير الدارسون إلى التأثيرات العربية الواضحة في تلك الأعمال الرائدة في الأدب الإسباني، وهي تمهيد للرواية الشطارية البيكارسكية بعناصرها المتمثلة في الواقعية والسرد. يعتبر "لاثريو دي تورميس"، لوحة ساخرة لمجتمع ذلك الوقت الذي يعوزه الرحمة وتتفشى فيه الرذائل وينتشر فيه النفاق خاصة بين رجال الدين المسيحيين والمتدينين، حيث تعد الرواية تثقيفا للذات، فهي تعالج موضوعا أخلاقيا، وتنقد بشكل لاذع النفاق ومفهوم الشرف المزيف الخاضع لمعايير المجتمع. يعرض المؤلف رؤيته السوداوية المناقضة للكنيسة لنهاية وخيمة

[1] المرجع السابق، ص59.

للكرامة الإنسانية، فالحياة قاسية وتصدق فيها نصيحة الأعمى في "لاثاريو" (Lazarillo) 'فتات من بخيل خير من لا شيء"، فكل يسعى لمنفعته الشخصية فقط. وقد تم إدراج هذا العمل ضمن لائحة الكتب الممنوعة، لدى محاكم التفتيش، لأن الكاتب انتقد رجال الدين والاستبداد الذي كان في تلك الفترة بسبب حكمهم الظالم، فعندما نُقحت الفقرات التي تتناول رجال الدين سُمح بنشرها (سيطرة الكنيسة في تلك المرحلة على المجتمع).

أما الرواية فهي مقسمة إلى سبعة فصول، السرد يكون بضمير المتكلم كأنها سيرة ذاتية لطفل يحكي منذ الولادة إلى أن بلغ سن الرشد، في الفصل الأول: منذ الولادة حتى فارق سيده الذي عمل معه وكان رجلا أعمى، توسّمت فيه أمه خيرا لكنه ليس كما كانت تظنه، إذ عانى معه ولاق المحن وتعلم منه المكر والخداع أكثر من أي شيء آخر، بل أنه لم يفارقه حتى انتقم منه، هنا ينتهي الفصل الأول ويبدأ الفصل الثاني الذي يحكي لنا فيه الفتى ماذا حدث معه عندما التقى سيده الثاني كاهن ماكيدا، المدينة التي تقع في مقاطعة طليطلة. هذا القس البخيل جدا الذي عانى معه كثيرا ولم يفارقه إلا بأذى كبير، وفي الفصل الثالث حكا عن مغامراته مع الإسكودير تعني خادم الفارس النبيل، الذي كان يبدو له كنبيل لكن في الحقيقة كان هذا الرجل فقيرا جدا ولم يتمكن في الأخير من العيش معه، أما في الفصل الرابع، فقد عمل الفتى مع راهب كان مُولعا بمتع الدنيا، وتدور أحداث الفصل مع رجل دين محتال يخدع الناس ويُدنس الحقائق ببيع صكوك الغفران، وفي الفصل السادس عمل مع صانع دفوف ثم مع قس يبيع الماء للناس لم يسلم منه فقد خصص له ستة أيام يدفع مدخوله إلى القس واليوم السابع يحتفظ به لنفسه فتحسنت أحواله وبدأ يعمل لصالح نفسه، أما في الفصل السابع فقد عمل مع مأمور شرطة وبعدها كمنادي للمدينة بل حتى عندما تزوج لاثاريو لم

يسترح فقد تزوج امرأة كانت خادمة لقس تحوم حولهم الشائعات بأنه كانت لها علاقة مع ذلك القس، لكنه في الأخير سدّ أذنيه ليعيش بعيدا عن كلام الناس.

3-2- البنية الروائية للرواية البيكارسكية:[1]

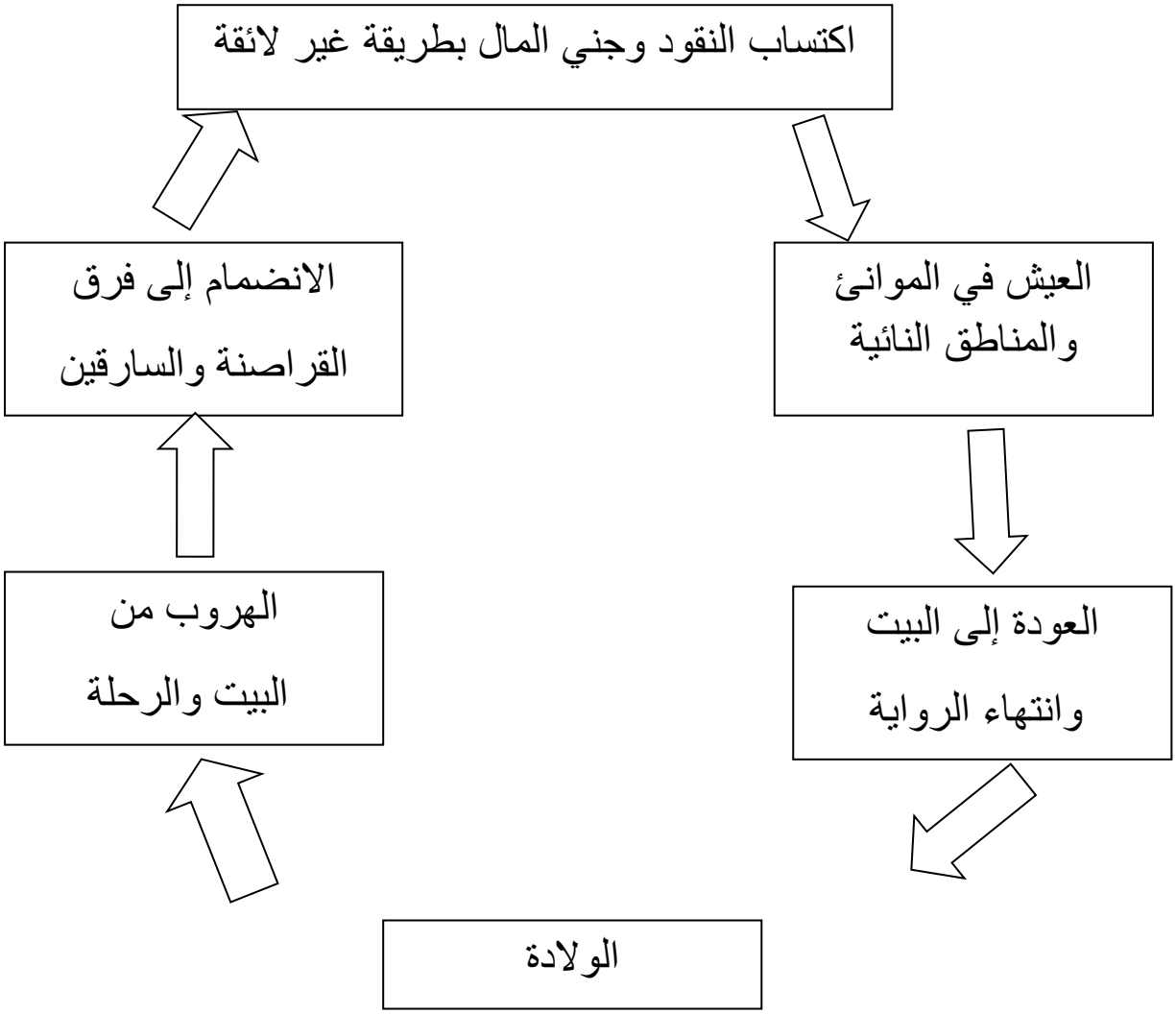

[1] محسن محمدي فشاركي، القواسم المشتركة بين أسلوب بيكارسك والنمط الحكائي للمقامة، مجلة الخطاب، جامعة أصفهان، إيران، مجلد 16، العدد 1، 2021م، ص89.

3-3- البنية القصصية للمقامة:[1]

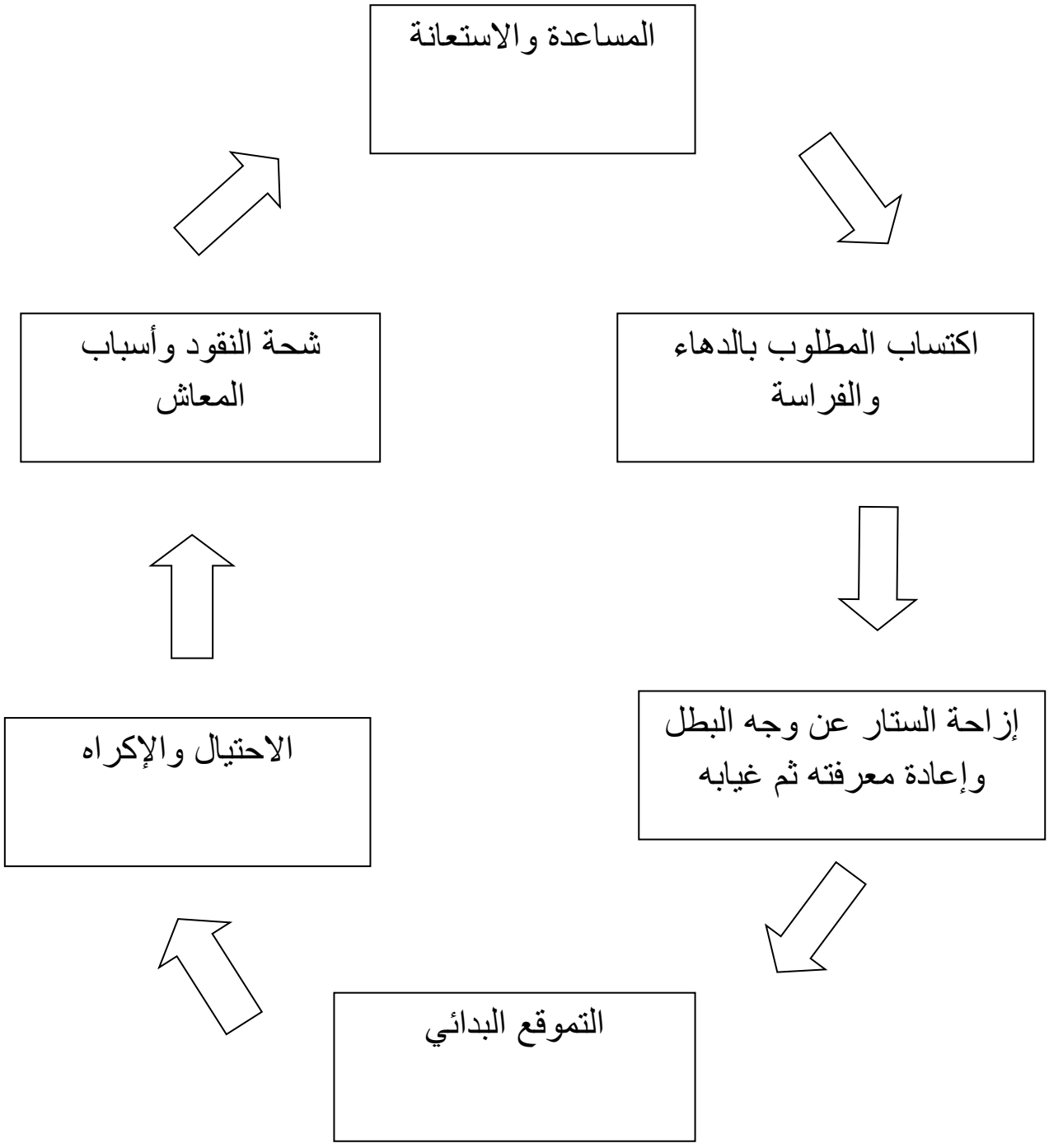

[1] المرجع السابق، ص91.

4- دراسة مقارنة بين المقامات العربية وقصص الشطار الإسبانية "رواية لاثاريو دي ترميس" (Lazarillo de Tormes):

4-1- أوجه الاختلاف:

نذكر منها ما يلي:

- من الناحية الأسلوبية، نجد أن رواية لاثاريو قد كتبت بأسلوب نثري بسيط، عفوي وغير متكلف، خال من الصنعة اللفظية والبلاغية، عار من الإسهاب والإطناب، والألفاظ فيه على قدر المعاني دون زيادة، حيث تعكس لغة القصة لغة الشارع الإسباني وفتها وهي بسيطة، حية وعميقة، محملة بدلالات ومقاصد ذكية.

- أما أسلوب المقامات عند الحريري فهو يحتوي على : « جد القول وهزله ودقيق اللّفظ وجزله وغرر البيان ودرره، وملح الأدب ونوادره ومحاسن الكتابات واللّطائف الأدبية والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب المحبّرة والمواعظ المبكية[1]».

- الاختلاف في الغاية والهدف، فمثلا عند مؤلف قصة "لاثاريو" يروي في مقدمته الأحداث التي جرت له، وأنه عمد إلى روايتها، حتى لا تنتسى ويستفيد بقراءتها الناس كل على حسب ثقافته ومنهم من يتوغل فيها ويغوص في أعماقها حتى يجد ما يفيده ويؤنسه، والبعض الآخر سيكتفي بالإمتاع والتسلية، أي أن المؤلف لم يؤلف القصة عبثا بل هدفه كان انشاء فن وأدب يخلد به أعماله، ويؤهله للمجد والشرف، إضافة إلى إعطاء صورة كاملة عن حياته ونقد طبقة النبلاء في قوله: « لكي يدرك الذين يرثون النبل ضآلة ما ينسبونه لأنفسهم،

[1] مقامات الحريري ..مقامات الواسطي ../ أحمد عبد الكريم، على موقع: https://massareb.com/?p=1905

ويقدروا عظمة ما فعله غيرهم ممن استطاعوا بالجهد والتدبر، ورغم معاكسة الظروف، السباحة إلى بر الأمان»[1].

- وقد قرر بطل القصة تدوين سيرته الذاتية ووضع نصْب عينيه هدفان ألا وهما: تقدير الناس لمواهبه وعظم ما تحمّله في سبيل الوصول لغايته، بمعنى أن غاية الإبداع الأدبي والخلق الفني هي التي تحركه وتدفعه لتأليف قصته، حيث يتحدث عن قضاياه ومشاكله.

- أما الحريري فمن الواضح أن الغاية التعليمية التهذيبية هي التي تسيطر عليه في تأليف مقاماته في قوله: « فأي حرج على من أنشأ ملجأ للتنبيه لا للتمويه، ونحا بها منحى التهذيب، لا الأكاذيب، وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب للتعليم، أو هدي إلى صراط مستقيم»، أي أنه ليس على قناعة بالوسيلة التي اتخذها قالبا لوعظه وإظهار تفوقه اللغوي، وحتى الهدف التعليمي الأخلاقي للمقامات يبعدها عن معايير القصة القصيرة في العصر الحديث، ويجعلها قريبة جدا من فحوى ومضمون الإنتاج الأدبي للقرون الوسطى.

وعليه، نستنتج أن قصة لاثاريو عكس مقامة الحريري، فهي تخلو من أي مغزى تعليمي وتهذيبي أو أخلاقي.

- اختلاف البيئة الزمانية والمكانية فهي محدودة في المقامة الواحدة، حيث نجد فيها فضاء واحدا و زمانا واحدا، في حين تنقلنا رواية لاثاريو من مكان لآخر ومن زمان لآخر في القصة الواحدة.

- يسود نص لاثاريو رؤية سوداوية مجسدة في العديد من مشاهد العنف التي تؤكد تدهور أوضاع المجتمع الإسباني آنذاك ومثال ذلك في حكم رجال الدين وحكم

[1] د.علي عبد الرءوف علي البمبي، المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية، كتاب الرياض، العدد 48، ديسمبر، 1997م، ص133- 132- 131.

الكنيسة الظالم، في حين أن مقامة الهمذاني تسودها روح الفكاهة والمرح رغم الانتقاد الخفي للمجتمع والسلطة.

- وفي قصة لاثاريو لا يأتي النقد عرضا أو دون وعي بل هو نقد واع وهادف ومقصود، وتفرضه المتغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لعصره.[1]

- أما النقد في المقامات سواء عند (الهمذاني أو الحريري) فإنها لا تأتي عادة من داخلها بل تبحث عن صداها في الكتب والمصادر الأخرى التي توضح لنا ملابسات وأوضاع عصرها.

- تضم قصة لاثاريو جزءا من عناصر ومقومات القصة بمفهومها الحديث، فالأحداث فيها مستمدة من الحياة المحيطة بها، كما أنها مبدوءة بزمن ومنتهية بآخر وتسلسل الأحداث مشوق، إضافة إلى شخصياتها المقنعة والبعيدة عن التناقض، غير جامدة ومتفاعلة مع الأحداث، كما أن الكاتب حدد أبعادها الاجتماعية والنفسية، والبيئة الزمانية والمكانية التي تدور فيها، أما بناؤها فهو خطي (أفقي)، يبدأ بمقدمة ثم تتطور الأحداث حتى تصل إلى ذروتها مع نهاية القصة، ولها عدة أهداف بعضها ظاهر مثل النقد الساخر لبعض الأوضاع والقيم الاجتماعية السائدة، والبعض الآخر عميق ويكمن في التماس البطل عند عرض تصرفاته الشائنة في إطار اجتماعي فاسد وأناني، وكأنه يقول: «لا شيء في هذا العالم يستحق الاحترام (...) إذا كان الصعلوك يسرق، فنظرة واحدة على ما حوله كافية لتهدئة ضميره، فالكل يسرق»، وعلى حسب هذه المقولة يرى المؤلف أن البطل دائما متهم وفيه الشبهات، حيث أن المجتمع الذي يعيش فيه مزيف لا يستحق الاحترام ودائما الطبقات المنحطة والمهمشة والصورة السيئة منسوبة لهم، فهو يعلم أن وراء الطبقات النبيلة قناع مزيف للخيانة والحيلة والسرقة وبالتالي

[1] المرجع السابق، ص138- 137- 134.

فالكل عنده سواء في السرقة، حيث أن القصة عبارة عن لوحة معبرة للحياة اليومية صاغتها النظرة الواقعية للصعلوك بطلها، وبالتالي تعتبر أول تجربة في الأدب العالمي للقصة الواقعية الحديثة ذات مضمون اجتماعي[1]، أما المقامة وبالرغم من الاجتهاد في إعلاء قدرها في مجال الفن القصصي، فإنها لا تحمل من مقومات القصة الحديثة إلا رتوشا مبسترة لا تؤهلها على الإطلاق لمقارعة مفهوم القصة في الأدب الغربي الحديث، ولا يمكن أن نعتبرها قصة إلا من منظور أنها تحمل طرفة أو نادرة وربما حدثا يُسرد ويُقص، وإن كان طغيان الجانب اللغوي قد أخرها في هذا المجال عن "ألف ليلة وليلة" و "كليلة ودمنة" وكتب الأخبار والسير والمغازي.

كما أنها من منظور قصصي لا تعتبر من ابتكارات الأدب العربي بل إرثا مشاعا بين كافة أنواع الشعوب نظرا لقدمها قدم الإنسان ذاته.

- واختلاف آخر في سرد أحداث قصة "لاثاريو" ومقامات الحريري أو الهمذاني، فالقصة عبارة عن سيرة ذاتية، أي اختلاط شخصية المؤلف بشخصية البطل أو الراوي، ومن المعروف أن كل سيرة ذاتية عبارة عن حكاية تبدأ من الماضي وتنتهي في لحظة القص الحاضر: أي ماضي يقصه الراوي ويقيمه في الوقت الراهن، إضافة إلى الرسائل الحوارية التي تتضمن سرد حادثة معينة جرت - أو يمكن أن تجري – لكاتبها الذي يدونها على طلب أحد المسئولين الكبار، فسيرة "لاثاريو" تقترب كثيرا من هذا النوع ومثال ذلك: « وبما أن فخامتكم قد كتبتم إلي طالبين شرح الموضوع بالتفصيل»، ولا يعني هذا أنها مجرد رسالة حوارية، لأن مؤلفها اعتمد على هذا النوع لكي يعلق على طريقة سرد البطل لسيرته الذاتية.

[1] المرجع السابق، ص138.

- أما عند الحريري مثلا نجده قد باعد بينه وبين شخصية بطل مقاماته وكأنه يتبرأ منها عندما يقول في مقدمته: « وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة، وفطنة خامدة، ورؤية ناضية، وهموم ناصية، خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره...(...) مما أمليت جمعته على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري».[1]

- كما أن الخيط الذي يربط الحريري كمؤلف بالراوي (الحارث بن همام) قد أوهنه الإطار العام لكل مقامة، التي تبدأ دائما بضمير الغائب (حكا الحارث بن همام...روى الحارث بن همام ...إلخ)، وحتى داخلها تتكرر (قال الراوي...قال...ثم قال...الخ) مما يوحي بالفصل بين المؤلف والراوي.

- تعتبر بشخصية بطل المقامات جامدة ومتناقضة عما يميزها من ملامح جسمانية ونفسية...لا ترتبط بالحدث الذي يدور داخل كل مقامة، حيث أنه يمكن استبدالها بشخصية أخرى، لأن صفة الكدية التي تتصف بها وتمارسها في كل المقامات يمكن أن تتميز بها شخصيات أخرى تنتسب إلى طبقات اجتماعية مختلفة وفي عصور متعددة.

- أما شخصية "لاثاريو" فقد كان شخصية فولكلورية معروفة في العصر الذي تم تأليف القصة فيه، ففي إنجيل "سان لوكاس" (Saint Lucas) نجده أنموذجا للفقير البائس، وفي بعض الآثار الأدبية لذلك العصر "لا لالوثانا الأندلسية" (La Lozana andaluza) نجده نموذجا للفقير و"لاثاريو" هي تصغير لكلمة "لاثارو"، أي أن شخصية "لاثارو" كانت موجودة في الواقع قبل انتقالها لأدب الشطار وهذا على خلاف شخصية "أبي زيد السروجي" التي أنشأها أدب المقامات، وبالتالي لا

[1] المرجع السابق، ص 140.- 141- 142- 143- 144.

نستطيع القول أن من كان يمتهن الكدية في العصر العباسي وقبل أن يؤلف الحريري مقاماته كان يعرف أبي زيد السروجي.[1]

4-2- أوجه التشابه:

تتمثل العناصر المشتركة بين البيكارسك والمقامة: قصة لاثاريو دي تورميس والمقامات العربية " الهمذاني والحريري".

- الموضوع والبنية القصصية من العناصر المشتركة التي تربط المقامة[2] والبيكارسك « فبيكارسك رواية تعالج في طياتها العادات والسير الذاتية للشطار أي الأشخاص المحتالين»، ففي هذه القصص تتبيّن السيرة الذاتية لطفل وُلد فقيراً ووالديه فقيرين لتجبره الحياة على مكابدة الصعوبات ومعانقة الكوارث فتعلمه نوائب الدهر وأن يعتمد على نفسه حتى يتمكن من مواصلة الحياة، فشخصية "لاثاريو" الرئيسية تخرج من بساطتها وتتحول إلى شخصية دهية تُقاوم خبث المجتمع، ففي بداية الأمر يكون "لاثاريو" ساذجا، طفوليا لا يعرف الحيلة ولا المكر، فيطلب منه سيّده الأعمى أن نضرب رأسه على تمثال صخري وهذا من دروس الأعمى له لكي لا يموت جوعا ومثال ذلك: « طلب الأعمى من "لاثاريو" الاقتراب من تمثال حجري...فعندما أحس الأعمى بذلك دفع رأس الصبي بقوة في التمثال فارتطم به ارتطاما قويا لم يذهب ألمه إلى بعد ثلاثة أيام...وقال له الأعمى: "أيها الأحمق، تعلم أن قائد الأعمى يجب أن يفوق الشيطان دهاءا ومكرا»[3]، وهنا بدأ بتعليمه المكر والحيلة ولكنه ردّ إليه الصاع صاعين بعد المعاملة القاسية له معه، ومنه فشخصيته المقامة كذلك تدور حول الاحتيال وأن

[1] المرجع السابق، ص144- 154.

[2] محسن محمدي فشاركي، القواسم المشتركة بين أسلوب بيكارسك والنمط الحكائي للمقامة، مجلة الخطاب، جامعة أصفهان، إيران، مجلد 16، العدد 1، 2021م، ص91.

[3] علي عبد الرءوف علي البمبي، المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية، كتاب الرياض، العدد 48، ديسمبر، 1997م، ص 69.

تكون ذكية وعلى أن تحرص على ادخار الثروة والمال باستخدام أنواع الحيل للتسوّل.

- حيث أن بطل هذه الرواية يسافر ويرحل من خدمته كاهن لآخر ولاثاريو لم يعمل عند السيد الأعمى فقط بل في كل فصل من القصة عمل عند رجل دين واكتشف في كل واحد فيهم خبثا ومكرا، خلف قناع الدين، وفي المقامة أيضا «يظهر البطل في الحكاية متنكرا غير معروف، ويخلق أحداثا فما إن عرفت هذه الشخصية في نهاية الحكاية، تنمحي وتغيب عن الأنظار لتطهر في المقامة التالية لمظهر آخر وهيئة جديدة».[1]

- وهناك قاسم تشترك فيه المقامة والرواية البيكارسكية وهو رسم الشخصية، فكاتب المقامة بدلا من عرض تصرّفات الأشخاص ورسمها أمام الأنظار، يقوم بوصفها وصفا خارجيا من دون أن يلج إلى أفكارها أو يسرد ما تتميز به من خلقيات، وهذا أيضا شأن بيكارسك كأسلوب واقعي اجتماعي، فأسلوب رسم الشخصية أسلوب مباشر مثال ذلك في مقامات الحريري أين يُبين الراوي مباشرا بوصفه ظاهريا وخلقيا لبطل الرواية[2]، في قوله: « فعرفتُ حينَئِذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الرّيبِ والعيْبِ. ومُسوِّدُ وجْهِ الشّيْبِ. وساءني عِظَمُ تمرّدِهِ. وقُبْحُ تورّدِهِ».[3]

وهذا شأن أسلوب البيكارسك كأسلوب واقعي واجتماعي، في قول "لاثاريو" وهو يصف سيده الرابع: « هو راهب في قرية "ميرثيد" أنه رجل أعمال جوّال أكثر منه رجل دين»، وفي وصف آخر لشخصية سيده الأعمى: « كان غاية في البخل لئيما ماكرا»، وفي مثال آخر أيضا: « ...تعرفت أمه على سائق مورسيكي أسود

[1] المرجع السابق، ص92.

[2] محسن محمدي فشاركي، القواسم المشتركة بين أسلوب بيكارسك والنمط الحكائي للمقامة، مجلة الخطاب، جامعة أصفهان، إيران، مجلد 16، العدد 1، 2021م، ص93.

[3] القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري، دار الغدا الجديد مصر، ط1، 2016، ص90- 91.

يدعى زيد»، ومنه تبين لنا أن نمط البيكارسك نمط مباشر خارجي يرسم الشخصية كما هي ظاهريا مثله مثل المقامة.[1]

- ومن أوجه الشبه أيضا الرحلة والنقل المكاني للرواية، فبالنسبة للبيكارسك أو الشطاري فهي تتصف بالرحلات والتنقل من مكان لآخر، حيث يرى الدكتور "مير جلال كزازي" على أنها نمط من أنماط كتب الأسفار والرحلات قائلا: «يتضمّن "بيكارو" رحلة طويلة وهذا المضمون قد اقتبسه الباحث من رمانس»[2]، وعادة ما تكون الأمكنة التي تقع فيها أسفار "بيكارو" ورحلاته هي الموانئ والأنهار والغابات، وهذه الرحلات تكون من مدينة إلى أخرى أين يتحولون من خدمة أرباب إلى أرباب آخرين، وعليه، فهذه الروايات لا تتصف بالثبوت "فلاثاريو" مثلا كان يتنقل من مكان لآخر، إذ كان في مدينة سلمنكا ثم انتقل إلى سيده الأعمى وبعد ذلك اتجه لخدمة الراعي الكنسي لماكيدا، وتلى ذلك ذهابه في رحلة إلى طليطلة أين انتقل لخدمة راهب في قرية "ميرثيد" وغيرها من رحلاته، وهكذا الأمر في المقامات إذ يتقل البطل فيها دائما من مدينة إلى أخرى فـ «الحارث راوي المقامات اضطرّته صعوبات الحياة ونوائب الدهر إلى السفر فتعرّف على الشيخ العجوز "أبو زيد" فانجذب إلى كلامه الجميل العذب، وقد كان يظهر كل حين بين فئات الناس بمظهر متباين وهيئة تختلف عن سابقتها ليخدعهم بغية الحصول على يد العون، إضافة إلى أن تسمية مقامات الحريري والهمذاني وضعت بناء على المكان الذي تم وقوع الحادث فيه، فعناوين المقامات تدل على التنويع المكاني» مثال: المقامة الكوفية نسبة لكوفة، المقامة البغدادية نسبة لبغداد، المقامة الصنعانية نسبة لصنعاء...

[1] علي عبد الرءوف علي البمبي، المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية، كتاب الرياض، العدد 48، ديسمبر، 1997م، ص68- 75.

[2] محسن محمدي فشاركي، المرجع نفسه، ص94.

- العناية بالبطل وتمحور شخصيته ومركزيته في الرواية سواء في أسلوب البيكارسك أو في المقامة حول شخصية واحدة وأعمالها، حيث تتضمّن قصص الشطار الأحداث التي تقع في حياة بيكارو منذ الطفولة إلى أن يكبر[1]، ومثال ذلك في رواية "لاثاريو وحياته ومحنه" « ...منذ ولادته في طاحونة على شاطئ نهر تورميس المار بمدينة سلمنكا،...وبعد وفاة أبيه وانتقاله مع أمه، حتى أصبح يعمل مع الأعمى وثم من قص لآخر حتى عمل مع الشرطي ثم تزوج وبعدها استقر وسدّ أذنيه عن الإشاعات التي كانت تدور حول زوجته ليعيش مرتاح البال»[2]، وفي نمط المقامة الحكائي تتواجد شخصية مركزية تمثل دورا مهما في الرواية، فبطل مقامات الحريري، شيخ طاعن في السن وهو « يتجلى بوجهة إيجابية أحيانا ويتميز بدهاء وفراسة...، وفي أحيان أخرى يختار خصلة دنيئة سيئة غير لائقة ويتحول إلى شخصية محتالة غدّارة، مكارة، خادعة»[3]، ومثال ذلك قال "الحارث بن همام": «فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية علمت أنه علم السروجية، فلبثت إلى أن زهرت نجوم الظلام، وانتشرت عقود الزحام...».[4]

- ومن أوجه الشبه أيضا اكتساب النقود وجني الأموال بطرق غير لائقة، وذلك بارتداء ملابس مزورة، وإنجاز أعمال متعبة إضافة إلى التسوّل والحيل، ففي مسرح مقامات الحريري هي توظيف ملابس رثّة وتحويل البطل إلى هيئة أخرى، ففي المقامة البغدادية "أبو زيد" يقلب نفسه عجوزا طاعنةً في السن وتتسوّل، «لمحنا عجوزا تقبل من البعد، وتحضر إحضار الجرد، وقد استتلت صبية أنحف

[1] محسن محمدي فشاركي، القواسم المشتركة بين أسلوب بيكارسك والنمط الحكائي للمقامة، مجلة الخطاب، جامعة أصفهان، إيران، مجلد 16، العدد 1، 2021م، ص95- 96.

[2] علي عبد الرءوف علي البمبي، المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية، كتاب الرياض، العدد 48، ديسمبر، 1997م، ص67- 68- 69- 70- 78.

[3] محسن محمدي فشاركي، المرجع نفسه، ص96.

[4] القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري، دار الغدا الجديد مصر، ط1، 2016، ص75.

من المغازل، وأضعف من الجوازل، فما كذّبت إذ رأتنا، أن عرتنا، حتّى إذا ما حضرتنا .... فلما إفعوعم جبيبها تبرأ وأولاها كل منّا برآ تولت يتلوها الأصاغر وفوهها بالشكر فاغر...».[1]

ونجد في المقامة البصرية للهمذاني: « ولقد أصبحن اليوم وسرّحن الطّرف في حيّ كميت، وبيت كلا بيت، وقلّبن الأكفّ على ليت، ففضضن عقد الضّلوع، وأفضن ماء الدّموع، وتداعين باسم الجوع.

والفقر في زمن اللّئا ... م لكلّ ذي كرم علامه

رغب الكرام إلى اللّئا ... م، وتلك أشراط القيامه»[2]

هنا ادعى أنه فقير حتى يأخذ تعاطفهم.

يقول بديع الزمان الهمذاني في المقامة المكفوفية:

حدّثنا عيسى بن هشام قال: « كنت أجتاز، في بعض بلاد الأهواز، وقصاراي لفظة شرود أصيدها، وكلمة بليغة أستزيدها، فأدّاني السّير إلى رقعة فسيحة من البلد، وإذا هناك قوم مجتمعون على رجل يستمعون إليه، وهو يخبط الأرض بعصا على إيقاع لا يختلف، وعلمت أنّ مع الإيقاع لحنا، ولم أبعد لأنال من السّماع حظّا، أو أسمع من الفصيح لفظا، فما زلت بالنّظّارة، أزحم هذا وأدفع ذاك حتّى وصلت إلى الرّجل، وسرّحت الطّرف منه إلى حزقّة كالقرنبى أعمى مكفوف، في شملة صوف، يدور كالخذروف ، متبرنسا بأطول منه، معتمدا على عصا فيها جلاجل يخبط الأرض بها على إيقاع غنج، بلحن هزج، وصوت شج، من صدر حرج،وهو يقول:

يَا قَوْمِ قَدْ أَثْقَلَ دِينِي ظَهْرِي وَطَالَبَتْنِي طَلّتي بِالمَهْرِ

[1] محسن محمدي فشاركي، القواسم المشتركة بين أسلوب بيكارسك والنمط الحكائي للمقامة، مجلة الخطاب، جامعة أصفهان، إيران، مجلد 16، العدد 1، 2021م، ص97- 98- 99.

[2] أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2005م، ص78- 79.

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غِنَى وَوَفْرِ سَاكِنَ قَفْرٍ وَحَلِيفَ فَقْرِ

يَا قَوْمِ هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ حَرّ يُعنِينِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ».[1]

وفي موضع آخر [...] قال "عيسى بن هشام": « فرقّ له والله قلبي، واغرورقت له عيني، فنُلته دينارا كان معي [...] فناله النّاس ما نالوه، ثمّ فارقهم وتبعته، وعلمت أنّه متعام، لسرعة ما عرف الدّينار، فلمّا نظمتنا خلوة، مددت يمناي إلى يسرى عضديه وقلت: والله لتريني سرّك، أو لأكشفنّ سترك، ففتح عن توأمتي لوز، وحدرت لثامه عن وجهه، فإذا والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري، فقلت: أنت أبو الفتح؟ فقال: لا.

أَنَــا أَبُو قَلَمُــونٍ فِي كُلِّ لَوْنٍ أَكُونُ

اِخْتَرْ مِنَ الكَسْبِ دُونَا فَإِنَّ دَهْرُكَ دَونُ

زَجَّ الزَّمَــانُ بِحُمْقِ إِنَّ الزَّمَانِ زَبُونُ

لاَ تَكْذِبَــنَّ بِعَقْلِ مَا العَقْلُ إِلى الجُنُونُ[2].

- وفي مقطع من قصة "لاثاريو دي تورميس" :

« بعد موت أبيه انتقلت به أمه إلى مدينة سلمنكا، واشتغلت فيها بالخدمة، فكانت تطهو لعدد من طلاب جامعة سلمنكا، وتغسل ملابس بعض سائقي الخيول [...] وعندما نزل بالخان الذي تعمل فيه أعمى يبحث عن قائد له انتهزت الفرصة وألحقت ابنها لخدمة هذا الأعمى، وأوصته بابنها خيرا [...] فسيده الأعمى كان غاية في البخل لئيما ماكرا، ويعرف الكثير من الحيل و وسائل النصب التي تعنيه على استعطاف قلوب المحسنين والمتصدقين، أو خداع البسطاء الذين كانوا يتهافتون عليه طلبا للرّقى والتعاويذ والصلوات التي كان يجيدها، وبالرغم من أن

[1] أبي الفضل أحمد بن الحسن بن يحي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2005م، ص 94-96.

[2] المرجع نفسه، ص 96.

الأعمى كان يكسب في أسبوع ما يزيد على ما يكسبه مائة أعمى في سنة كاملة، إلا أنه كان شديد البخل على الصبي، مما دفع الأخير إلى مبادلته دهاء بدهاء حتى لا يموت جوعا».[1]

- نجد في النصين الأولين لمقامة الهمذاني أن الكدية ظهرت بأشكال مختلفة، حيث أن البطل استغل العمي والفقر والعجز والكبر، والمرض من أجل التسول وخداع الناس والإيقاع بهم من خلال الأدعية ومناجاة قلوب المؤمنين، إضافة إلى إبراز ثقافته، وفصاحته، فالراوي في مقامة الهمذاني كان يبحث عن علم يستنير به في قوله: « كلمة بليغة أستزيدها»، إضافة إلى إلقاء بعض الشعر.

- وأما في النص الثاني "لاثاريو دي تورميس" نجد نفس الشيء: استغلال الأعمى لمرضه من أجل الإيقاع بالناس وذلك من خلال كسب عطف المحسنين والمتصدقين أو خداع البسطاء الذين كانوا يطلبون منه الرقى والتعاويذ والصلوات التي كان يجيدها على حسب حسن صوته العذب في إلقاء تلك الامور، وكان يعرف الكثير من الحيل وجعل نفسه غاية في التواضع والتقوى بحركات فمه وعينيه، ومنه فإن النصّين اشتركا في حالة العمى، لكن الأعمى في مقامة الهمذاني مزيف في حين أنّ أعمى "لاثاريو" حقيقي.

- إضافة إلى أن كلا العملين يبرزان وضع المجتمع الذي يعيشون فيه من خلال السخرية على رجال الدين الذين يستغلون منصبهم، وكثرة نفاقهم، ومن الذي يدعي كثرة الكرم والطيبة، فالأعمى في "لاثاريو" كان شديد البخل لكن أمام أم "لاثاريو" ادعى الطيبة مما دفع بهذا الأخير إلى التعامل معه بنفس حيلته ومكره، ونلاحظ أنّ النصين سخروا من واقع المجتمع الذي يسوده الظلم والاستبداد والاحتيال.

[1] د.علي عبد الرءوف علي البمبي، المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية، الرياض، العدد 48، 1997م، ص68.

خلاصة:

وخلاصة القول نجد أن للمقامات الأدبية أهمية كبيرة في الأدب، وهي الأصل الذي قامت عليه كل أشكال أدب الطبقات الدنيا، الأدب التشردي، أدب الصعلكة، أدب المهمشين، وأدب الاحتياليين، ومنه نشأ ما يُعرف بالرواية البيكارسكية (الشطارية)، فبمجرد ذكرها يربط اسمها بقصص الشطار الإسبانية نتيجة للأثر العربي على الأدب الغربي.

خاتمة

في ختام هذا البحث الموسوم بـ أثر المقامات في الآداب العالمية : الأدب الإسباني – أنموذجا- ، يمكننا القول أن المقامة قد نشأت في العصر العباسي والتي كانت تعتبر شكلا قصصيا جديداً في هذه الفترة، حيث اتخذ هذا الشكل الأدبي وسيلة لطرح القضايا الاجتماعية المختلفة، أمّا في العصر الوسيط، فقد برز اسم الحريري في هذا الفن، مُتّبعا بذلك خطى الهمذاني في صياغة المقامة.

وقد كان لفن المقامة أثرا في الآداب العالمية لاسيما، الأدب الفارسي والاسباني والفرنسي وغيره من الآداب العالمية. واهتم الكثير من الأدباء المعاصرين بانشاء المقامة وعملوا على احياء الفنون الأدبية القديمة وهذا ما دفعنا إلى دراسة المقامة وظهورها في الأدب العربي كفن من الفنون الأدبية من خلال تأثيرها في الآداب العالمية.

وعموما، فقد توصلنا إلى جملة من النتائج التي قد تفيد المهتم بموضوع البحث، هي كالآتي:

- إنّ فن المقامة فن عربي أصيل من فنون الأدب القديمة، تميّز بنقد الأوضاع العامة للمجتمع الإسلامي في قالب قصصي فني، ومن أهم أعلامه "بديع الزمان الهمذاني" و"أبو القاسم الحريري".
- تزخر المقامة بالحكم والعبر والمواعظ ولها فوائد تعليمية (اللغة والأسلوب والبيان).
- تأثرت المقامة الفارسية بالمقامة العربية وكان هذا التأثير بارزا و واضحا، خاصة باعتراف أصحابها بذلك.
- تأثر الأدب الفرنسي بالأدب الإسباني (قصص الشطار الإسبانية) نتيجة تأثر الأخير بالمقامة العربية أي كلاهما تأثرا بها.

- دور المقامات في نشأة الرواية الإسبانية (الرواية الواقعية) وهي تجسيد واقع الحياة المعاش كما هو.

- أسلوب البيكارسك القصصي قد ظهر بتقليد من المقامة في الأدب الشرقي.

- تتبنى قصص الشطار الإسبانية وصف مغامرات شخص من أفراد الطبقة الدنيا، الذي ترعرع في مكابدة الصعوبات، واحتمال المشقات، لذلك يلجأ إلى الحيل والخداع.

- إنّ للمقامة أسلوب حكائي تكون فيه الشخصية المتكدية تتوسل بالخداع والاحتيال وصولا للنقود.

- بروز النموذج الإنساني في كلا العملين وهو حالة الأعمى من أجل الاحتيال وخداع الناس.

- تعتبر رواية " حياة لاثريو دي تورميس " (La vida de Lazarillo de Tormes) من أهم الروايات في الأدب الإنساني فهي تصف طبقة مهمشة في المجتمع، ويرى العديد من الباحثين أنها قد تأثرت بالسرد العربي.

إنّ سعة موضوعنا تجعلنا نشعر ونحن على مشارف نهايته بأنّنا لم نستفض بما فيه الكفاية فيه وبالتالي نأمل أن يكون عملنا هذا نقطة ارتكاز لدراسات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المعاجم :

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد 12، 2003.
2. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، القاهرة، ط4، 2004.

المصادر المراجع:

3. حسن عباس نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف ،[د. ط].
4. شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1954.
5. عبد المالك مرتاض، المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
6. عباس هاني الجراح، المقامات العربية وآثارها في الآداب العالمية، دار الصادق الثقافية، 2014.
7. يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، 1979.
8. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة الهنداوي للنشر، 2013.
9. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط9، أكتوبر 2008.
10. يسرى عبد الغني عبدالله، ديوان بديع الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003.
11. عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، الجزائر، ط1988،2.
12. ماهر البطوطي، الرواية الأم ألف ليلة وليلة في الآداب العالمية ودراسة في الأدب المقارن، مؤسسة الهنداوي، 2005.
13. د.علي عبد الرؤوف علي البمبي، المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية، كتاب الرياض، العدد 48، 1997.

14. القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري، دار الغد الجديد مصر، 2016.
15. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2005.

المجلات:

16. خليل مردم بك، مجلة الثقافة السورية، مجلد1، العدد 10، 1933.
17. محمد الهادي مرادي، (فن المقامات النشأة والتطور دراسة وتحليل)، مجلة التراث الأدبي، السنة الأولى، ع 4.
18. الدكتور صباح عبد الكريم مهدي، أثر المقامات العربية في الأدب الفارسي، مجلة آداب البصرة، العدد 49، سنة 2009.
19. عباس هاني الجراح، المقامات وأثرها في الأدب الإسباني، مجلة الدار،العدد الأول.
20. د.جميل حمداوي: الرواية البيكارسكية أو الشطارية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثامن، 2008.
21. إسماعيل العثماني، الأدب الشطاري، تعريف جديد لأدب قديم، مجلة الآفاق، العدد 61-62، 1999.
22. محسن محمد فشاركي، القواسم المشتركة بين أسلوب بيكارسك والنمط الحكائي للمقامة، مجلة الخطاب، جامعة أصفهان، إيران، مجلد 16، العدد 1، 2021.

المواقع:

23. كتاب سطور، خصائص المقامة،.https://sotor.com
24. فؤاد اليزيد السني، مقالة "السيرة الذاتية في معطف الرواية الصعلوكية "، موقع ديوان العرب، ديسمبر 2009: .https://www diwanalarab.com
25. مقامات الحريري، مقامات الواسطي ../ أحمد عبد الكريم، على موقع: https://massareb.com/ .

فهرس

إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ، ب
الفصل الأول: المقامات في الأدب العربي، المفهوم والنشأة	
تمهيد	01
1- مفهوم المقامة	01
1-1- المعنى اللغوي	01
1-2- المعنى الاصطلاحي	04
2- نشأة فن المقامة	06
3- خصائص فن المقامة وعناصرها	09
3-1- خصائص المقامة	09
3-2- عناصر المقامة	10
4- تطور فن المقامة	12
خلاصة	17
الفصل الثاني: المقامات العربية وتأثيرها في الآداب العالمية	
تمهيد	19
1- المقامة في الأدب الفارسي	20
1-1- مظاهر التأثر بالمقامات العربية	22
2- المقامة في الأدب الفرنسي	23
3- المقامة في الأدب الإسباني	26
3-1- معايير انتقال المقامات إلى إسبانيا	26
3-2- اهتمام الأندلسيين بالمقامات	27
3-3- تقليد اليهود الإسباني للمقامات	28
3-4- المقامات وقصص الشطار	29
خلاصة	32
الفصل الثالث: المقامات العربية وحكايات الشطار الاسبانية	
تمهيد	34
1- مفهوم الرواية البيكارسكية (الشطارية)	35
2- خصائص الرواية البيكارسكية "الشطارية"	38
3- أثر الأدب العربي القديم على الرواية البيكارسكية	39
3-1- حياة لاثريو دي تورميس وحظوظه ومحنه	40
3-2- البنية الروائية للرواية البيكارسكية	42

3-3- البنية القصصية للمقامة	43
4- دراسة مقارنة بين المقامات العربية وقصص الشطار الإسبانية	44
4-1- أوجه الاختلاف	44
4-2- أوجه التشابه	49
- خلاصة	56
- خاتمة	58
- قائمة المصادر والمراجع	61

الملخص:

المقامة من أحد أهم الآثار الأدبية وأكثرها تأثيرا على الآداب الأخرى، حيث تعتبر حالة فريدة إبداعية انفردت بها اللغة العربية، فهي جنس أدبي ذي خصائص متعددة، ويعتبر بديع الزمان الهمذاني المؤسس الفعلي لأدب المقامة، وهي الأصل الذي قامت عليه كل أشكال أدب الطبقات الدنيا بمسمياتها كافة، الأدب النثري، أدب الصعلكة، أدب المهمشين، وهذا ما يعرف بحكايات الشطار الإسبانية، ففكرة المقامة قائمة على الاحتيال قد أثرت كثيرا على الأدب الإسباني، رغم أن المقامة لم تنتقل لأي لغة أخرى نظرا لتميزها بمقومات لغوية وخصائص لم يمكن لأي أدب آخر تقليدها فيه، وبالتالي الأدب الإسباني يعتبر الأكثر تطورا بالثقافة العربية وهذا ما رأيناه في رواية لاثاريودي ترومیس.

الكلمات المفتاحية:

فن المقامة، بديع الزمان الهمذاني، الرواية البيكارسكية.

Summary:

The Maqamat Is one of the Most important literary works and the most influential on other literatures, as It Is considered a unique and créative case unique to the Arabic language. It Is a literary genre with multiple characteristics. Badi' al-Zaman al-Hamdhani is considered the actual founder of the Maqamat literature, and It Is the foundation upon which all forms of literature of the lower classes, with all their names, were based. Prose literature, the literature of the vagabond, the literature of the marginalized, and this Is what Is known as the Spanish Tales of the Wicked. The idea of the maqama Is based on fraud. It has greatly influenced Spanish literature, even though the maqama was not transferred to any other language due to its distinctive linguistic components and characteristics that no other literature could imitate. Therefore, Spanish literature Is considered the Most developed in Arabic culture, and this Is what we saw in Lazariodi's novel Tromis.

key words:

The Art of Maqamat, Badi' al-Zaman al-Hamdhani, the picaresque novel.